



المصوّ

مارس وأبريل سنة ١٩٣٠
أعرف نفسك بنفسك - فيثاغورس
العدد ٦
العددان ٣١ - ٣٢

التطور

وأثره في مستقبل الفكر الانساني

نص الخطبة التي قداما صاحب هذه المجلة في الاجتماع السنوي الاول للجمع المصري للثقافة العلمية برئاسة الدكتور علي ابراهيم بك وكيل الجامعة المصرية ومحمد كية الطيب في يوم الثلاثاء ٢٥ مارس سنة ١٩٢٠ في قاعة الباحة مساء بقاعة المحاضرات في دار جمعية المحترفات بالقاهرة

- ١ - نمود - ٢ - انظر الكفايات العقلية - ٣ - الاعتقاد والدين - ٤ - التأمل والفلسفة - ٥ - الآليات
- او الاختيار والعلم - ٦ - اصطلاح العلم في التجاز - ٧ - تفريق بين حالات عقلية - ٨ - الفرض
- الضروري - ٩ - الفرض الامكاني - ١٠ - الاسلوب الحديث - ١١ - كيف نحيز هذا الاسلوب
- ١٢ - نشوء الفذهب الجديد - ١٣ - قواعد التشو - ١٤ - تحليل التماسر على البقاء - ١٥ - التطبيق
- العمل - ١٦ - حالات تتج مشكلات - ١٧ - التاريخ : مراميه وخصائصة - ١٨ - علم الحياة - ١٩ - الحياة
- الانسانية - ٢٠ - النتيجة

(١) تمهيد

المعرفة اصطلاح يجمع بين كل الآثار التي أبدعها الفكر الانساني .
فالعلم معرفة ، والدين معرفة ، والفلسفة معرفة . والراجع أننا لانبالغ إذا قلنا إن
الآداب والفن معرفة ، وإن جميع هذه الآثار الفكرية ، باعتبارها نتاجاً للقوة
العاقلة في الانسان ؛ يجب أن يجمع بينها اصطلاح واحد ، هو المعرفة .
عندما بدأ الانسان يتطلع من فوق هذا السيار الصغير إلى ما حوله من

الأكوان ، وأراد أن ينفذ يصيرته إلى الماهيات ، كما نفذ بصره إلى الماديات التي تحيط بعالمه الأرضي ، تخالطت عليه المقاصد وسدت في وجهه سبل البحث لقصور في قوته العاقلة ، ونقص في الوسائل . في هذا الطور من البحث جمعت بين مخلف نظراته في الوجود والحالات المحيطة بالوجود ، فكرة واحدة ، هي أن يعرف شيئاً بما يحيط به ، يرضى به نزعتاً إلى البحث ، ويشبع به نهمة التطلع في نفسه . وفي هذا الطور ظهرت البدايات الأولى في فروع المعرفة عندما يعرف الحمجي لأول مرة أن العصا تحترق إذا أدنيت من النار ، وأن المسافة التي يقطعها من منبع النهر إلى مصبه ماشياً ، أطول من المسافة التي يقطعها بين شاطئيه ساجحاً أو خائضاً ، فذلك أول عهد الإنسان بالعلم .

وعندما يقف متطلعاً إلى السماء مستوحياً مساميرها الفضية وشمسها المتوهجة وسياراتها السابحة في الفضاء ، ثم يسأل نفسه ما هذا الكون الفسيح ؟ وما الغاية من هذا النظام وكيف وجد ومن أوجده ؟ وما الأزل ، وما الأبد ، وما اللانهاية ؟ وهي أفكار ضرورية تنشأ مع التأمل ، فذلك أول عهد الإنسان بالفلسفة .

أما إذا أراد أن يعرف كيف نشأ ، ومن نشأ وإلى أي شيء ينقلب بعد الموت ، وأخذ يكد ذهنه في البحث ورأه العالم غير المنظور ، عالم الغيب الذي تحمله له أشباح التخيل وقوة التصوير والوهم ، فذلك أول عهد الإنسان بالدين .

هذه الكفايات خلقت مع العقل . غير أنها ظلت متخالطة متشابكة الحلقات أدواراً من السنين وأطواراً من عمر الإنسان ، ولا تزال على تخالطها وتشابك حلقاتها قائمة في ذهنية الكثيرين ممن لم يعتوا بدرس الفواصل التي تقيم حدوداً معينة بين هذه الكفايات . وهؤلاء على كبير خطرهم بما لهم من مراکز يسدون فراغها في الحياة ؛ هم أكبر عقبة تقوم في سبيل العلم والدين والفلسفة معاً . ذلك لأن تخالط الآثار التي تنجم عن هذه الكفايات داع إلى الفوضى الفكرية ، وعامل من أكبر العوامل على قتل ملكة النقد وتنظيم المناقشات على الأساس لأمثل . وهذا هو السبب الذي حملني على أن اختار هذا الموضوع ليكون محل عنايتي وعناية الفئة الراجحة في التفريق بين آثار الكفايات العقلية في الخارج كما فرقت بينها الطبيعة في تضاعيف الفطرة الإنسانية .

(٢) أظهر الكفايات العقلية

الكفايات التي هي أظهر من غيرها أثراً في حياة الإنسان العقلية ثلاث :
أولاً : كفاية الاعتقاد . ثانياً : كفاية التأمل . ثالثاً : كفاية الإثبات أو
الاختبار . والراجع أن هذه الكفايات ، هي الكفايات الأساسية التي تقوم
عليها المعرفة .

وعن هذه الكفايات الثلاث تنتج ثلاث صور من المعرفة . فمن
كفاية الاعتقاد ينتج الدين : وعن كفاية التأمل تنتج الفلسفة : وعن كفاية
الإثبات ينتج العلم . إذن فالدين والفلسفة والعلم ، ثلاثة اصطلاحات
وضعت لتدل على ثلاث صور معينة من صور المعرفة الإنسانية ، بحيث تفصل
بينها في الاعتبار العقلي حدود موضوعية ، ولا تجتمع إلا في حين واحد ، إذ
ترجع برمتها إلى أنها نتائج للعقل الإنساني .

وما نعى بالعقل الإنساني إلا ذلك الشيء الغامض المبهم الذي فيه من الفطرة
ومن الكسب مزيج ينتج تكويناً تسميه العقل . وما دام العقل أحد الفروض
الضرورية التي نسلم بوجودها تسليماً ولو عجز العلم عن إثبات وجودها بأساليبه
المعروفة ، اضطررنا إلى القول بأن تعريف العقل مستعص على حد بعيد . ولكن
يكفي أن نعرف من العقل أنه المصدر المكون من فطرة وكسب ، والذي
تنتج عنه مجموعة المعرفة الإنسانية .

(٣) الاعتقاد والدين

في الحياة الإنسانية ظاهرة من الجائز أن تكون قد سبقت بالوجود أول
مدارج الاجتماع . تلك ظاهرة الاعتقاد . فكما أن الإنسان اجتماعي بالطبع
كما قيل : كذلك هو ذائن معتقد بالطبع . أي أنه ذا عقيدة في صحة شيء
وبطلان آخر .

فالإنسان إذن كائن معتقد بطبيعته . وما كان للإنسان أن يتبدل بمعتقده
معتقداً آخر ، قبل أن تصح عنده مقدمات تسوق إليه ، وما كان له أن يثبت
على معتقدين متناقضين أو متضادين تلقاء شيء بذاته ، في زمان بذاته . ذلك لأن
للعقل الإنساني طبيعة لا تسع إلا اعتقاداً بعينه في زمان بعينه .

من هنا نقول بأن الاعتقاد الفطري في الإنسان أصل الدين . كما أن
التخيل منشؤه .

(٤) التأمل والفلبغة

إذا خرجنا من عالم الاعتقاد ولجنا عالم التأمل . ويحسن بنا أن نبين هنا
أن الإنسان كما هو معتقد بالطبع واجتماعي بالطبع ، كذلك هو متأمل بالطبع .
ولن يكون تأمل بلا اعتقاد ، ولا فلسفة بلا تأمل .

يبدأ الإنسان بالاعتقاد من غير أن يكون له اختيار في أن يتأمل في حقيقة
ما يعتقد به . فإذا داخل الإنسان الشك في حقيقة شيء ما يعتقد به ؛ بدأ يتأمل
في ما يقوم عليه اعتقاده من المقدمات ، وفيما يمكن أن يصح لدى العقل من
النتائج التي تؤدي إليها هذه المقدمات . فإذا صح لديه من طريق ما ، أن الحقائق
التي اعتقد بها بدياً لا تلائم ما وصل به التأمل ، أخذ من ثم يتلبس طريقاً
يوفق به بين معتقده واستنتاجه ، أي بين دينه وفلسفته . غير أنه غالب ما يعز
عليه أن يلغي الدين ، كما يعز عليه أن يلغي الفلسفة . فيحاول من ثم المزج بينهما ،
مزجاً أخرج لنا كل صور الدين العليا ، وكل مذاهب الفلسفة اللاهوتية
والكونية ، التي قامت على مدى الأزمان .

(٥) الإثبات أو الاختبار والعلم .

من الاعتقاد ومن التأمل بمنزجين تتولد حالة ثالثة ، هي من حيث الأصل
فطرية في الإنسان . على أن هذه الحالة لن تنشأ إلا مع الشك . فإن الإنسان
إذا شك في معتقده ، ثم شك في استنتاجاته التأملية نزع ضرورة إلى الإثبات
بالاختبار . فإذا كملت فيه هذه النزعة الإثباتية ، نشأ مع كمالها الأسلوب العلمي
في أول مدارجه . فإذا تدرج في طريق الإثبات ، تهيأت الطريقة العلمية الإثباتية
على الأسلوب الحديث ، فأصبحت عبارة عن وحي الحواس ، تميزاً لها عن
وحي الاعتقاد ، ووحى للتأمل .

(٦) اصطلاح العلم ، في المجاز

علينا أن نبين بمد هذا أن اصطلاح العلم كثيراً ما يستعمل مجازياً ليدل
على المعرفة . فإن الغالب عند كل من يحاول أن يعرف شيئاً من حقائق الكون

أو قضايا المنطق الجدلية أو القياس أو أصول الدين أو التشريع أو النفس أو الأدب، أن يسمى هذا علماً، ولكل عذره في أن يستعمل هذا الاصطلاح في هذا المعنى المجازي الواسع. لأن كل ما وصل إلينا من مذاهب الفلسفة أو مبادئ العلوم أو أصول الشرائع في العالم القديم سمي علماً، ذلك لأن تقسيم المعرفة على مقتضى كفايات العقل الإنساني، وليد العصور الحديثة، ولهذا نجد أنه من أصعب الأشياء أن تناقش شخصاً لم تتحيز في عقلية الفروق الموضوعية بين أقسام المعرفة على مقتضى الكفايات التي تستمد منها في تكوين العقل. ذلك لأنه يعتمد أن الدين علم وأن الفلسفة علم وأن العلم علم. في حين أن الاصطلاح الجامع لهذه الصور الثلاث هو المعرفة، فالدين معرفة والفلسفة معرفة والعلم معرفة. ومن مجموعها تكون المعارف الإنسانية. ولا جرم أننا من غير أن نميز بين الفروق الموضوعية القائمة بين هذه الصور، نقرب في ليل من أشك حالك السواد. لهذا نحدد صور المعرفة بما يأتي

أولاً - الدين - Religion - اعتقاد ذاتي.
ثانياً - الفلسفة - Philosophy - تأمل؛ لا ذاتي صرف، ولا موضوعي صرف.

ثالثاً - العلم - Science - إثبات استقرائي موضوعي.

وبين هذه الصور الثلاث يجمع اصطلاح واحد هو:

رابعاً - المعرفة - Knowledge -

على هذا نجد أن العلم محدود تحديداً تاماً بسيطاً، وكذلك الدين. إن العلم والدين باعتبارهما طرفي النقيض في تكوين العقل، تجمع بينهما الفلسفة مستمدة من كفاية التأمل. فإذا لم نراع هذه الحدود، وإذا لم نراع الدقة في استعمال هذه المصطلحات، لم نستطع أن نحدد التفكير، وبذلك نختلط علينا المقاصد في العلم والفلسفة والدين. بل نعجز عن أن نحدد الأغراض التي ترمى إليها، ونبالغ في تقييم الحاجات الفكرية والمادية، مبالغة قد تصل إلى حد الإفراط حيناً، أو التفريط حيناً آخر. بل لا نخطئ إذا قلنا إن كل المناقشات التي تقوم حول المباحث العقلية، تصبح خليطاً من صور الفكر،

أن تؤدي إلى نتيجة وإن تصل معها إلى غاية . وبذلك تقسح المجال للجدل المنطقي الذي ذاعت مع ذبوعه مذاهب السفسطة في العصر اليوناني ؛ والكلام في العصر الاسلامي .

(٧) تفريق بين حالات عقلية

لاجرم أن هذا البحث يظل ناقصاً ، إذالم تناول بالكلام حالات يشترك فيها العلم مع الفلسفة اشتباكاً كبيراً . وإن يأتي هذا الاشتباك إلا من « الفرض » .

وليس من غرضنا أن نحدد « الفرض » في المنطق أو ما هو « الفرض » في الفلسفة القديمة . بل غرضنا أن نقسم الفرض قسمين : أولهما الفرض الضروري : والثاني الفرض الامكاني . فالفرض الضروري هو ما يقبله العلم وإن عجز عن اثباته بأساليبه المعروفة وأما الفرض الامكاني فلا مكان له إلا في عالمي الفلسفة والدين .

(٨) الفرض الضروري

هو عبارة عن الحكم الذي يفسر العقل على التسليم به بمقتضى ما في العقل من ألغة ، لا يمكن الاحتفاظ بها إلا من طريق التسليم بذلك الفرض . في حين أن العلم Science يضطر إلى التسليم مع العقل بصحة ذلك الفرض ، ولو عجز عن اثباته بالطرق العلمية الموضوعية .

(٩) الفرض الامكاني

هو الفرض الذي يستوي فيه حدا الوجود والعدم . أو الذي يحتمل أن يكون له حقيقة موجودة ، كما يحتمل أن لا يكون له أية حقيقة في الخارج . ومعنى هذا أن العقل إذا سلم بالفرض الامكاني أم لم يسلم ، فإنه يظل محتفظاً بألفته داملة . في حين أن العلم يرفض التسليم بالفروض الامكانية رفضاً باتاً تاماً ما لم تثبت صحتها ثبوتاً قاطعاً بالاساليب العلمية المعروفة .

(١٠) الاسلوب الحديث

في هذا تلخص اسلوب المعرفة الحديث ، وبهذا تعرف المذاهب الحديثة بين صور المعرفة . ولإقيام لثقافة أساسها الاسلوب العلمي من غير أن يتخير

هذا التصور في عقول المثقفين ، ويهضم هضبا كافيا ، ليكون اساس النقد من ناحية ، واساس البحث من ناحية اخرى
ولا جرم اننا اذا وعينا هذه المبادئ نصبح قادرين على تحديد المعقولات تحديدا يجعلها اكثر خضوعا لاحكام العقل وكفاياته ، وخرجنا من ظلمات الجدل الى وضع الطريق العقلي الصريف ، نتمتع بشمراته ، ونأخذ قاعده نبنى عليها صرح العلم ، ونشيد من فوقها بناء الفلسفة والآداب

(١١) كيف تحيز هذا الاسلوب ؟

نكون مخطئين اذا تساءلنا كيف نشأ هذا الاسلوب ، ولكن نصيب اذا تساءلنا كيف تحيز . ذلك لان نشأته راجعة الى نشأة العقل ، وكثيرا ما سير هذا الاسلوب دقة الحياة الانسانية في عصور لم يكن قد تحيز فيها بعد على غفلة من الانسان عن أمره ، وعلى **جهل منه بحقيقة القوة المكتنزة في تضاعيف فطرته** . لهذا تساءل كيف تحيز لا كيف نشأ ؟

عجيب من امور هذه الحياة أن يكون أرسطو طاليس (المعلم الاول كما يقولون) وصاحب اكبر عقل على ظهر خلال العصور القديمة والعصور الوسطى ، قد وضع اقصى اداة تقف امام العلم الذي كان من أول واضعيه وأول المضحين في سبيله بكل مناعم الحياة ، فلقد وضع أرسطو طاليس بجانب علم الحياة والامبريولوجيا وبجانب بحثه في الاخلاق وبجانب مبادئه في التشريع ، مبادئ المنطق الاستنتاجي (Deduction) فان هذا المنطق الذي يتصرف فيه الفرض وتحكم فيه المقدمات ، من غير أن يزنها اختبار ولا تؤيدها مشاهدة ، قد حال دون العلم الصحيح كما عرف في العصور الحديثة . لأنه أصبح دعامة المعرفة الوحيدة واساس المقولات اللا هوئية التي ظلت محنكة في العقول طوال العصور الوسطى على اطلاق القول ، فلما انقلبت آية الحياة في حدود العصور الحديثة ، ونظر الانسان الى الحياة باعتبارها آية أرضية ، ودعته الحاجة الى تقييم نوعه بمقدار ماله في الحياة من سلطة على عناصر الطبيعة التي تنوشه وتتصرف فيه بلا رحمة ولا شفقة ، وانقلبت فكرته في الاساس الذي كانت تقوم عليه المعرفة

والغرض الذي ترمى إليه ؛ نشأت طريقة المنطق الاستقرائي (Induction) القائم على المشاهدة والاختبار ، وبالأحرى على الحواس . وكان أول من جري على قواعده الفيلسوف ديكارت ، القائل بالشك ؛ ووضع مبادئه الفيلسوف « فرنسيس باكون » ومصلحه الفيلسوف الايقوسى المعروف « هيويل » (Whewell) الذي يقرر في أول كتابه « المنطق الاستقرائي » كأول قاعدة تجزيئية من قواعده

« الانسان معتل الطبيعة ، والعلم هو التعليل الصحيح »

وليس لنا في هذا الموطن أن نستطرد الى سرد التدرجات الدقيقة التي تناوبت على هذا المنطق حتى تحيز على صورته الاخيرة . ولكن حسبنا أن نقول إن اساسه الاختبار واسلوبه التاريخ . الاختبار الحسى من ناحية . وتعليل درس العلوم على درس تاريخها من جهة اخرى . وانى لا قول آسفاً ، اننا عدنا نعمة هذا المنطق حتى الآن في معاهدنا العملية و بمقدار ما بين المنطقين من الاختلاف ، تقيس الفوارق الكائنه بين الحضارة القديمة والحديثة . وبالأحرى بين حضارة الاعتقاد وبين حضارة الاثبات ، بين حضارة النظريات وحضارة العمليات ، بين حضارة الرياضة الفكرية ، وحضارة المنفعة . وإن شئت فقل بين حضارة الفلسفة وبين حضارة الإنتاج الصناعى الحديث .

(١٢) نشوء المذهب الجديد

على هذا المنطق ، و كنتيجة من نتائجه ، قام أكبر مذهب فلسفى على فى العصر الحديث ، وهو بلامراء مذهب النشوء والارتقاء الذى وضعه « داروين » مع علم القرن التاسع عشر غير منازع ؛ وهو المذهب الذى نريد أن نتخذة قاعدة للتدليل على الاسلوب الذى سوف يؤثر به النشوء والتطور فى مستقبل الفكر الانسانى .

نحيل الى الحكماء أن العلامة داروين قد اقتصر عمله فى كتابه الخالد

« أصل الانواع » ، على أن يثبت بالبرهان العلى الحديث نظرية فلسفية قديمة .
ولقد أثبت الأستاذ « هنرى فيرفيلد أوزبون » ، الأمريكى وغيره من الكتاب ،
أن نظرية التطور قديمة نشأت مع بدايات الفلسفة اليونانية ، وظلت متعلقة في
العقول خلال كل الأزمان ، حتى أسست بها الاقدار الى القرن الثامن عشر
فولدت جديدة بأبحاث كاسبار فردريك وولف سنة ١٧٥٩ ، ولامارك بكتابه
فلسفة الحيوان سنة ١٨٠٩ وداروين بكتابه الخالد « أصل الانواع » سنة ١٧٥٩ .
ذلك قرن كامل من الزمان .

و يعتقد الكثيرون في العصر الحاضر أن نظرية النشوء الداروينية تقتصر
على هذا وحده ، وأنه اذا غولى في الامر وتوسع العلماء في تطبيقها ، أمكن ذلك
في أسلوب النشوء الكوفى والعضوى في الماضى والمستقبل ، من غير أن يكون
لها أثر عملى في خلق تصورات جديدة يمكن الوصول بها الى قواعد تجزيئية
تطابق المنطق العلى الاستقرائى ، بحيث يستطيع من حاجتها توجيه النوع
الانسانى في الحياة ، فردياً واجتماعياً ، توجيهها أرشداً وأكثر خيراً . والحقيقة
أن عظمة « داروين » ، تمهد بمذهبه الجديد الى مستقبل النوع الانسانى على كرة
الارض ، بطريقة علمية استقرائية . بل إن مذهب النشوء الانتخابى - وهو
في الواقع مذهب داروين بأحكام القول - ليس بمذهب تأملى نظري فهو مذهب
عملى تطبيقي . وعندى أن لمذهب النشوء طرفين : طرف نظرى أدرك القدماء
وأهل العصور الوسطى شيئاً منه ، واستطاعوا أن يعللوا به نشوء الكون والتغيرات
التي وقعوا عليها في سطح الكرة الارضية ، وهي فكرة استمدوها من نشوء
أفراد الحيوان والنبات . وطرف عملى هو الذى وضع داروين قواعده لأول
مرة في تاريخ العلم . وعلى هذا تقوم عظمة داروين .

نستمد الدليل على هذا من حقائق التاريخ العلمى . فان النصور القديم
في النشوء لم يستطع أن يمحو من عالم الفكر الانسانى بضعة أخطاء نفسية أهمها
أن الانسان محور الكون ، وأن الكون لم يخلق إلا من أجله . ولقد كان هذا
الخطأ النفسى وحده ، به أخطاء أخرى تشابهه ولا تنزل عنه أثراً في دماغ العقل

بمطابق معين ، سياً حال دون نشوء الافكار الحرة زماناً طويلاً . ومن هنا يظهر لنا جلياً أن تصور النشوء على وضع أثر أثره المحتوم في تكوين الفكرة الحديثة ، وعلى منحنى فتح أمام العقل الانساني أبواباً جديدة لم تفتح من قبل ، يرجع فضله الاعظم لمعلم القرن التاسع عشر .

(١٣) قواعد النشوء

ومهما يكن من أمر الذين يحاولون أن يثبتوا قدم مذهب النشوء ، فإن القول بأن هذا المذهب من ثمرات العقل الحديث ليس بمطابق للحقيقة على إطلاق القول . أما الحقيقة فهي أن ، داروين ، قد استطاع أن يستحدث من الفكرة القديمة تصوراً جديداً ، أقامه على ثلاث قواعد استقرأها من مبادئ الطبيعة . أما هذه القواعد فهي :

أولاً — التناحر على البقاء

ثانياً — الانتخاب الطبيعي

ثالثاً — بقاء الأصلح

ولقد أحدث استكشاف هذه القواعد المترابطة ثورة انقلابية في سير الفكر الانساني . لهذا يحق لنا شرحها وإظهار علاقتها بالانسان وحالاته الحيوية . وأثرها في تطور الفكر .

(١٤) تحليل التناحر على البقاء

لقد أوحى الى داروين بفكرة التناحر على البقاء من بحث كتبه ، توماس روبرت ملنوس ، في الاحصاء وازدياد عدد الاحياء بنسبة رياضية . فقد استبان أن الاحياء اذا لم ينزل بها الفناء في فترات من الزمان ، ملأ وجه الارض نسل نوع واحد منها في عهد قصير . ولقد ضرب داروين على ذلك أمثالا كثيرة ليس هنا محل ذكرها . أما ما يهنا الكلام فيه ، فالوقوف على تفاصيل الفكرة في نشوء الاحياء ، كما وصفها داروين ، ومن ثم تطبيقها على عالم

الاجتماع الانساني، ولما كان تفصيل الفكرة تفصيلاً وافياً بأمراً بعيداً عن الامكان في مثل هذا الموقف، ومفروض اننا جميعاً نلم بطرف موجز منها، لهذا نتابع البحث في تطيقها على الاجتماع الانساني مع مراعاة الانحياز بقدر المستطاع جاء في الفصل الثالث من كتاب اصل الانواع؛ وهو الفصل الذي خص به داروين التناحر على البقاء، ثلاث جمل يستخلصها المكب على درس هذا المذهب بسهولة، إذا هو اراد ان يستقري، ما وراء السطور. قال.

أولاً - إذا فرض وجود حيوانين من الفصيلة الكلبية في زمن اشتد قسوة، فيمكن القول بأنهما يتناحرا أن من منهما يحصل على الغذاء ويفوز بالبقاء، حين أن نباتاً في صحراء يمكن أن يقال بأنه يجاهد الجفاف في سبيل الحياة، أو بعبارة أصح، أنه يعتمد على الرطوبة في سبيل الفوز بالبقاء.

ثانياً - إن المناخ يلعب الدور الأعظم في تحديد متوسط العدد الذي يبقى من أفراد الأنواع. والظاهر أن النصول الدورية التي يفرض فيها البرد أو الجفاف هي أشد أضراراً منصرية التي تتعرض لها الأحياء.

ثالثاً - إذا بلغنا الإقطار القطبية أو الصحاري القاحلة أو قمم الجبال الجليدية، فإن التناحر على البقاء يكون برهته ضد العناصر.

رابعاً - كثيراً ما يحدث أن ذهاب أفراد الأنواع أريسة غيرها لا يحتاجها إلى الطعام؛ هو الذي يحدد متوسط عدد أفرادها.

من هذه القواعد البسيطة نستطيع أن نستنتج أن التناحر على البقاء كما تحدث في عقل داروين؛ إنما هو على أربع صور مترابطة، ولكنها متمايزة.

أولاً - الصورة الأولى: هي التناحر في سبيل رد الفعل الطبيعي أو مقاومة الأثر المنصرى، وقد نستطيع أن نسميه التناحر العكسي، بأن يحتمل الكائن الحي الحرارة أو البرد أو القواسر الأخرى. بأن يقدر أن يردد عدداً أزيد من الانقباض، أو يخطو خطوة أزيد، أو يستقرى على الثعب الجسمي وأثر اليأس النفسي، أو يستطيع أن يستكشف البيئة ويعرف مركاتها، أي يحلها، لعله يعرف كيف ينقذ عما يبقى على حياته دقيقة أخرى.

ثانياً - الصورة الثانية: وهي التناحر في سبيل الحصول على الطعام،

وقد نستطيع أن نسميه التناحر الإيجابي ، بأن يتفهم الكائن الحي بأشياء يصلح بها ما يفقده من القوة الحيوية في مقاومة الأثر العنصرى أو رد الفعل الطبيعى

ثالثاً — الصورة الثالثة : وهى التناحر فى سبيل المكافأة ، وقد نستطيع أن نسميه التناحر التكافؤى : بأن يعمل كل كائن على حيازة أكبر قسط من المكافأة بين تكوينه وتركيبه وبين طبيعة البيئة الخارجية المحيطة به .

رابعاً — الصورة الرابعة : هى التناحر فى سبيل المعادلة الضامية ، وقد نستطيع أن نسميه التناحر التعديلى ، بأن تعدل أفراد الأحياء حالاتها بما تتطلب حاجة الجماعة

من هذا التحليل نستطيع أن نجيب على عدة من المشكلات الكبرى التى أمضت العقل الإنسانى قروناً طويلاً ، فإذا تساءلت مثلاً ما هى العلاقة بين ظاهرات الدين والجمال والعقل والاقتصاد والأخلاق والاجتماع بعضها أزاء بعض وأزاء الحياة فى مظهرها الكلى ؛ أو إذا تساءلت : ما هى نقطة الاتصال فى النشوء الاجتماعى عن كل ما سبقها من مظاهر النشوء التى أدت إليها ، أو ما هو الحد الفاصل بين مظهر الطبيعة الاجتماعى ومظهرها العضوى والنفسى مثلاً ، فإننا لا شك تقع فى تحليل التصور العلى فى حقيقة التناحر على البقاء ، على اجرة مرضية لهذه المشكلات

فإن الصورة الأولى من صور التناحر على البقاء ، أى صورة التناحر فى سبيل رد الفعل الطبيعى أو التناحر العكسى كما سميناه ، إنما تنقلب مع النشوء حلقة دنيئة رسيمة فى النفوس أو حس بالجمال عميق الأثر فيها . كما أن التناحر فى سبيل الحصول على الطعام ، إنما ينبثق عنه الحياة الاقتصادية . والتناحر فى سبيل المكافأة إنما يحدث الأخلاق العليا كضبط النفس والتوجيه الذاتى وطبع الوجدان بطابع معين . فى حين أن التناحر فى سبيل التعادل الضامى ضرورى للاحتفاظ بالصفات الاجتماعية التى يتركب بها مجموع من السلالات العليا فى الحياة العضوية

أما الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصح ، فتابعان لدي الحقيقة لتصور التناحر على البقاء . وشرحها يحتاج الى كثير من الوقت والفراغ . ويمكنني أن أقول فيها إن تصورهما في عقل داروين أدى الى فكرة كبرى في الانتخاب الزوجي بناها على حقيقة وجود الصفات الزوجية الثانوية ؛ وهو بحث في التاريخ الطبيعي استمدت منه أفكار اجتماعية لها الأثر الأول اليوم في توجيه الإصلاح الاجتماعي وجهة جديدة .

(١٥) التطبيق العملي

لم نقصد بهذا الشرح أن نستطرد الى الكلام في حقيقة المذهب الدارويني الحديث . بل قصدنا الى التمهيد دون التقرير . قصدنا بهذا أن ندرك التصور الجديد في العلم النشوي ، وعلاقته بالحياة الإنسانية . ولو أردنا أن نشرح كل وجوه العلاقات القائمة بين تصور النشوء والحياة ، لما وسعنا مجلد ضخم لم فيه بأطراف موجزة من هذا الموضوع المترامي الأطراف . لهذا نكتفي بأن نظهر علاقة الأبحاث النشوية بفروع واحد من فروع المعرفة الإنسانية ، ليكون مثالا نحتديه في بقية الفروع إذا أردنا ، ولندرك على وجه التقريب أثر الفكرة النشوية في العلم الإنساني .

قد نحاول أن يكون موضوع بحثنا اليوم في علاقة الدين والآداب بالنشوء . غير أن هذا البحث ، على أنه على حرق ، قد يقيم في الأذهان شكاً في حقيقة ما نقصد إليه من كلمتنا هذه . وقد تقصر بحثنا على علاقة الفلسفة بالنشوء . غير أن احتياجنا الى الغوص وراء مشكلات العقل في مثل هذا البحث ، قد تقبو عنه أسماع الكثيرين ممن نحاول أن نجعل خطابنا معهم قاصراً على أوليات عامة تظهر من ناحتها أثر التطور في مستقبل الفكر الإنساني . وقد نبحت النشوء من حيث علاقته بالخلايا الحية وانتقال الصفات الوراثية ، أو نشوء الإنسان أو أصل الجماعات البشرية أو الانقلاب الجنيني أو الاستيطان أو الاجتماع أو الأخلاق أو علم النفس أو غير ذلك من فروع المعرفة . غير أن احتياجي في مثل هذه الأبحاث الى الشروح العتيقة ببعض

الشيء ، جاز أن يعترض عليه من بعض الوجوه ، لهذا اخترت أن يكون الكلام فيما كان من أثر التصور الحديث في النشوء على بحث التاريخ ، وغالب ظني أنه من المتيسر في مثل هذا البحث أن نعرف كيف يؤثر تصور النشوء في تكوين العلوم .

(١٦) حالات تنتج مشكلات

في سنة ١٩٢٢ على ما أذكر نشر الأستاذ المغفور له الدكتور يعقوب صروف مقالا في التاريخ لأحد الكتاب ، فهد له بكلمات خيل إلى منها أنه يعتقد أن التاريخ علم ، على ما يعرف من العلم في المباحث الحديثة . فكتبت رداً عليه نشره في المقطف ، حاولت أن أثبت فيه أن التاريخ مزيج من الأدب والفن ، ولا أزال مقتنعا بصحة رأي هذا .

غير أني مع هذا كنت شديد الانزعاج بأن من القوانين الأدبية أو الأبحاث النظرية ؛ ما يكون في طور انتقال يتخطاه إلى حيث يصبح علما صحيحا . والحقيقة أن التاريخ من بين المعارف الانسانية يجتاز هذا الطور في العصر الحاضر فهو على ما أرى علم في طور التكوين . وهذا ما نحاول إثباته في هذه الكلمة معتمدين ذلك على المباحث الحديثة والتصور النشوي الذي دمج الفكر بطابعه الثابت في هذا الزمان .

وقعت في تاريخ الدنيا حوادث إذا تأملت منها ؛ لاحت كأنها خيال لا حقيقة . حدث أن وجه الأفراد والجماعات همهم وبذلوا جهدهم في سبيل نشر دين جديد ، فكانت النتيجة أن تكونت حكومة من طراز حديث ؛ أو تألفت جماعة حرية لم يكن لها وجود من قبل . وقد نجد أن الطبقات الحاكمة أو الجماهير المحكومة ، قد عمدت إلى رفع المستوى العام من أهمهم بالعمل على تنمية الموارد الاقتصادية أو تدعيم السلطة السياسية ، فكانت النتيجة قيام دين جديد ، عما يقتضيه قيام الدين من التقاليد والمذاهب والمبادئ ؛ ليحتل المكانة التي كانت

تشغلها المشو له حياة القديمة، وليجدها من حياة الأمم الروحية. وكذلك تقع في التاريخ على منازعات وحروب قامت بين حكومات، ودارت رحاها حول أشياء معينة، ولكنها انتهت بإبرام معاهدات أو عقود صلح، ففقت مشكلات تختلف اختلافاً كلياً عن طبيعة الأشياء التي قامت من أجلها الحرب واحتدمت نار الجلاء. وعلى هذه القاعدة تجد أن مشكلة العرش في أمة خلا عرشها من ملك يحكمها؛ كانت في التاريخ مثاراً لمنازعات وحروب تناولت أكثر أمم المدينة، فأدت في النهاية إلى تعديل الترخوم الجغرافية التي تحدد بقاع كل أمة من الأمم. وقد تشب خلاقات بين أميرين ويكون سببها الوراثة العائلية أو المباحكات السياسية. ولكن الخاتمة تكون من حظ أمم مهتلة غير معروفة ولا مذكورة بلسان، تظل سائرة نحو الظفر العالي، فالحيوانات الحافرة؛ تحترق تحت الثرى اتفاقاً، حتى تظهر بقعة، فتحتل المسكنة الأولى من نظام الأمم السياسي.

وقد يجد الفلاسفة وأصحاب الجدليات النظرية حيناً في الترويج لفكرة حديثة، أو وضع قواعد جديدة يقوم من فوقها بناء الفن والعلوم أو تقدم المعرفة عامة أو تدعيم أسس التربية، وتكون الأمم منصرفة عنهم إلى الحصول على مزايا الاستقلال السياسي أو الديمقراطية والحكم النيابي. ويقع في حين آخر أن ينصرف السياسيون إلى الدعوة لإدخال الإصلاحات العامة في نظام الهيئات التشريعية والمجالس الشعبية؛ فينصرف فريق من أكبر الرجال مقدرة إلى الكلام في اختيار أحسن الأساليب الانتخابية والتثيل النيابي، ودرس أقوم اتصالات التي يجب أن تقوم عليها علاقة الحاكم بالمحكوم، ولكن يقوم في الوقت ذاته شعور جديد يتناول أكبر مجموع من الأمة، هو في ذاته عنوان على حياة جديدة تبعثها في الناس نزعاً عقلية إلى البحث وإلى الشك فيما يقوم حفافهم من التقاليد، وإلى تذوق الفكرة الحرة، وحرية المناقشة والنقد، فتكون النتيجة خلق صورة حديثة في الأدب، أو منحى جديد من مناحي العلم.

والواقع أنك لا تستطيع أن تحتك بدايات كل حركة من الحركات
النفسية ، إذا ما انتهت إلى غايتها . فقد ظهرت حركات كانت في بدايتها أمل
غامض في تحسين حالة الإنتاج الصناعي أو النجاح التجاري ، غير أنها انتهت
بتعديل جديد في القوى الاجتماعية أدى إلى تهذبات شتى في شكل الحكم
ومدى السلطة الحكومية . ، كذلك نجد الأمر عند حدوث التغيير الديني .
فإن وضع أساس ديني يكسب أمة من الأمم ألفة روحية منطلعة ، يرجع عبادة
إلى ظهور شخص معين يلعب هذا الدور على مسرح الحياة . ولكنك تجد
بجانب هذا أن تعظم النظم الصناعية والاتاجية ؛ وتقويض دعائم الفن
التجاري ومهارة الأخذ والعطاء ، كان لقيام هذه الألفة الروحية تاجاً .
وكذلك الحال في رجال الروحية والحماس القومى . فقد ترى بعضهم بعد أن
حصر مطالبه في الحصول على الحكم النيابى ، ومدى سلطة المحكومين على حساب
تحديد سلطة الفرد الحاكم ، نقاذتهم نزوات جديدة تملكهم فجأة وساقهم
إلى غايات لم تكن في حسابهم ، فكانت النتيجة إعلان الاستقلال التام
والانفصال الكامل عن أمة أخرى ، أو عن مجموع من الأمم . وقد ينزل
فرد حاكم بأمة أقصى ما يمكن تصوره من المضار ويحصلها أشد ما تنال البكوارث
من الأمم ، وتظل الأمة ساكنة هادئة كأن لم يكن شيء مما كان ، في حين تجد
أن حكومة أخرى مصلحة ، بقدر الإصلاح ما يكون ممكناً في حكومات
استبدادية ؛ قد تار عليها الشعب ثورة دعوية واستبدل ملكيتها الاستبدادية
بحكومة ملكية مقيدة . وثمة حكومتان متشاحتان على أيهما يفوز
بالغلبة من طريق القوة ، وتظلان متشاحتين حتى تظهر على
مسرح الحياة ثالثة مستقلة عنهما نظاماً ودماً ، ترمى بنفسها في غمرات الدردود
السياسى ، فتفرض النزاع ، ولكن بتقسيم جديد في مدى السلطان السياسى
والحدود الجغرافية .

إن الناظرين في أمثال هذه المفارقات الغريبة ، التى ليست عندى أكثر
من ظاهرات طبيعية عجزنا عن معرفة أسبابها الصحيحة ، فنسيناها إلى المصادفة
كما هي العادة ، قلنا يؤمنون بأن هنالك نواويس أوسنا ثابتة تحتكم في تسود

الأمم وانحلالها . فإذا كانت طبيعة الأشياء الانسانية قد تبلغ من الغرابة هذا المبلغ ، وإذا كانت بلاقانون أو سنن تحكمها ، أو روابط ضرورية تربطها ، وإذا كان نشوء الأمم وسقوطها ، أو ظهور الأديان وفناء الصناعات ، أو فقدان الحريات أو قيام النظمات النيابية ، عامتها نتيجة حوادث اتفاقية يتعذر التنبؤ بها أو اكتناه أسبابها ، فإى مجال يترك فى الحياة الانسانية للغايات أو المثل العليا ، ومم تكون مادة الوحي التى يوحى بها إلى قلب الإنسان ليجلد ويستقوى ويتغلب فى معركة التناحر على الحياة ؟ وما هو الطريق الذى تستطيع به أمة غدت المدنية وأربت بحجمها الثقافة ، أن تحتفظ بكرامتها ومركزها الذى نالته بدماء أبنائها وعصارة أفكارها ؟ وما هى الوسائل التى تتذرع بها أمة فى طور الطفولة والغرارة لتبلغ مبالغ الأمم العظمى فى مدارج الرقى البشرى ؟ وهل هنالك أية فائدة فى جهد المهيجين ودعاة الفتنة ، أو تضحية الشهداء ، أو جهود المقلدين ؟ وما هى القيمة الحقيقية للجهد المتواصل ، أو ضروب الاحتمال التى يلتذ بها ناشرو الأديان ، أو المصاحبون الاجتماعيون بأورجال الوطنية ، أو محبو الانسانية ؟

(١٧) التاريخ : مراميه وخصائمه

يتوقع الناس أن يتلقوا أجوبة من المؤرخ فيما لو تسألوا عن آمال النوع الانسانى ومستقبله . غير أن عالم المعرفة قد خضع فى العهد الاخير من تطور الفكر لمبدأ الاختصاص ، أو تقسيم العمل على حسب الكفايات ، ولقد اتجه الفكر نحو تجزئ المعرفة الى أجزاء أو أقسام ، واختصاص كل قسم منها الى طريقة من البحث مستقلة عن الاخرى ، فكانت النتيجة أن تخصصت العلوم وأخذت مراميتها تضيق وهنا على وهن وحالا بعد حال .

ولم تلج الدراسات التاريخية من هذا الاثر . أثر الانفراد والاختصاص ، فأخذت ترتد الى حيث تحددها الحقائق والظواهرات التى تتكون من مجموعها ، الحالة الحاضرة ، جماعة من الجماعات . ولقد اضطرب المشتغلون بالتاريخ أن يحصروا أجل همهم ، ويحددوا مسؤوليتهم ، بدراسة المشكلات السياسية التى

تعرض لها الجماعة ، أي الحالات الإدارية والدبلوماسية - أي العلاقات الدولية - والحروب والمعاهدات ، والتوسع الاستعماري من ناحية أو انتفاص أطراف المدى الجغرافي من ناحية أخرى ؛ وشعوب وروح الوطنية أو تحودها ، أو الوحدة السياسية أو الانحلال القومي ؛ إلى غير ذلك من الحالات . فالتأورخون لم ينعوا إلا بالنظر في الظواهر السياسية التي تنتجها الحياة الإنسانية ، حتى لقد قصرُوا على هذه الحالات جل انتباههم وكسروا عليها معظم جهودهم وتفكيرهم . وهم فوق ذلك يتجاهلون أو بالأحرى ينصرفون عن درس المؤثرات التي تفعل فعلها الثابت ، وتؤدي إلى نتائجها المحتومة في حياة الإنسان عائلياً واجتماعياً وصناعياً وديناً وعقلياً ، إلى غير ذلك من المؤثرات المتباينة التي تؤثر في الحياة الإنسانية على وجه عام وفي النظم التي تدفع طابعها الثابت في جبين المتجهات السياسية . ذلك لأنهم يعتقدون أن درس هذه المؤثرات من واجب غيرهم من الباحثين من رجال الاجتماع والاقتصاد والتربية والتفسيين .

ولاشبهة مطلقاً في أن مبدأ التخصيص في تكوين العلوم قد أثر أثره في تكوين علوم جديدة ناهها ، وتشأها بأن حدد مبادئها وخصص مراميها وأغراضها . فأدى ذلك إلى بلوغ الغايات العملية التي تنتظر من الاشتغال بالعلوم ، غير أن هذا التخصيص وتلك التحديدات ، كان لها من المناقص بقدر ما كان لها من الفرائد . فلقد أحدث هذا التخصيص أثراً سيئاً في أن تفقد العلوم ما بينها من روابط الألفة والاتساق والتركيب المزجي ، فقال ذلك ؛ أو على الأقل تعذر معه ، استكشاف مبادئ عامة أو متن كونية ، يمكن تطبيقها جميعاً على حالات الحياة الإنسانية ، منتزعة من حقائق الطبيعة وظواهراتها

لقد استطاع التاريخ أن يزود فرعاً حديثاً من فروع المعرفة بجملة من حقائقه المستجدة ، فكان منه علم السياسة (Political Science) وبذلك استطاع أن يمد المعرفة الإنسانية بجديد من العناصر أغناها وأوسع من أفقها . غير أن هذا التخصيص ، قد أبعد الباحثين من ناحية أخرى ، عن درس آمال الإنسان وأمانته ، وتقدم الحضارات واضمحلالها ، وما يمكن أن تريح الإنسانية من حركاتها السياسية ، وما يمكن أن تخسر .

وليس الإنسان ، بحيوان سياسي ، في مجموع غرائزه ، ولهذا نجد أن الحكومة لا تستطيع ، أو هي عاجزة ، أن تكون بمفردها مثلاً يحتذى أو تبعاً يزود الجماهير بما يتطلبون إليه من السعادة وما يريدون دفعه من الشقاء . ولن يكون قدر من المعرفة ، كافياً لأن يزودنا بما نحتاج به هذه الشغالات الانسانية؛ إلا إذا قام على درس كل الشهوات واليول والنظامات وأوجه الحركة والسكون التي تنطوي عليها صدور الناس ، وعلى هذا فلا بد من أن يظل التاريخ علماً ناقصاً ، وأن يبقى عاجزاً عن أن يحدد شيئاً من مستقبل الجماعات ومنقباتها الشقية ، أو أن يصور ماذا يكون من السبل التي تتعشى فيها خطا الارتقاء الملائمة لحالة ما من الحالات الاجتماعية ، مادام بعيداً عن العناية بدرس الحياة الانسانية في مجموعها ، وظاهراتها العديدة المتكاثرة . لهذا يجب على المؤرخ ، ليصبح التاريخ علماً أن يلجأ الى ما توحى إليه به سنن الحياة وظاهرات الحياة العضوية . عليه أن يلجأ الى علم الحياة ، البيولوجيا ، Biology - فان هذا العلم لدى الواقع أساس علم الاجتماع الحقيقي . كما أنه أساس التاريخ ، ان شاء المؤرخون ان يصبح التاريخ علماً . فان التاريخ اذا اقام على علم الحياة ، فانه يصبح قادراً على أن يكون مبادئ عامة جليلة محدودة ، يترعها من خطا التقدم الانساني ، ومن تكوين الجماعات ، ومن تطور الحضارات .

(١٨) علم الحياة

إن نشوء العضويات على وجه عام انما يرجع الى بضعة أوجه من النشاط الحيوى وبضعة مواد أساسية ، وكلها ضرورى لنشوء الحياة ، بما فيها من الظواهر عديدة . أما البيئة أو المحيط الطبيعى ، فكلاهما ضرورى لنشوء العضويات بهذه العوامل التي ليست الحياة إلا نتيجة من نتائجها . ولا يقتصر هذا المحيط الطبيعى على إنه المغذى الأول للعضويات وحارسها الذي لا تغفل له عين ، بل أنه مجال نشاطها ، كما أنه محل عيشها الذي تتكاثر فيه بالناسل وأنتاج المثل . وعلى هذا نرى أن الفعل من ناحية ، ورد هذا الفعل من الناحية الأخرى ، بين العضويات وبين البيئة ، هو الذي ينظم كل حالات الحياة في مدى الزمان ، أو

والتاريخ، الذي تظل الأفراد العضوية فيه شاعلة جزئياً من المحيط الطبيعي .

على أننا نجد أن القوى والمواد التي يتكون منها المحيط الطبيعي كالضوء والحرارة والهواء والماء والارض والمواد الغذائية الى غير ذلك، ليست في مستوى واحد من الضرورة لبقاء كل كائن عضوي ونشوته، بل الحقيقة أن بعضها قد يكون ذا خطر مباشر عليها أو بالغ أقصى الضرر بحاجاتها الحيوية، وفصلاً عن هذا فإن بين بعض العضويات وبعض علاقات قد تكون ودية، وقد تكون عدائية، بيد أن تفاعل قوى الطبيعة وما يترتب على تفاعلها من النتائج، مقيدة أو حاضرة، موافقة لمطالب الحياة أو غير موافقة، هي التي تحتكم في نشوء كل فرد من أفراد العضويات ونمائه على مقتضى السن المعروفة في علم الحياة . وعلى هذا نجد أن صورة كل كائن عضوي وخصائصه، إنما تتركب في مجموعها على طبيعة هذه القوى العنصرية، ومقتار تأثيرها شدة وضعفاً .

ففي عالمي النبات والحيوان نجد أن تباين الصور والألوان، والتركيب والخصائص الظاهرة، وعادات الحياة والمأهل، وحركة الأطراف والاعضاء الأخرى، وكذلك طرق التناثر والتربية، جماعياً ينضج لتباين حالات البيئة أو المحيط الطبيعي، بل لا بد من أن تكافؤ تكافؤاً تاماً، والنباتات والحيوانات الأرضية والمائية، لكل منها وسائله الحيوية وطرقه الخاصة به، بما أن لكل منها الصورة الجسمية التي تكافئ ما أهلها المختلفة وتوافق محيطها، وكذلك النباتات والحيوانات التي تعيش تحت سطح الأرض وقد ندعوها اصطلاحاً «النفقية» — Terrestrial — فإنها تعرض لنا صوراً أخرى من الخصائص والصفات، توافق مختلف الظروف التي تعيش مكتشفة بها .

ولا يتوقف وجود الحياة وحفظ النوع على حياة العضويات الفردية وحدها، بل الحقيقة أن كل مظهر من مظاهر الحياة إنما يتأثر بالمحيط الطبيعي الذي يكتشفها، فإن فعل القدرات الطبيعية المتشابهة الأطراف، ومحاولة كل كائن عضوي أن يستفيد من البيئة على مقتضى حاجاته وضروراته وجوده، وتذيب أعضائه من طريق تمثيل المواد التي يقتضىها، عامة هذه الأشياء

و كثير غيرها ؛ تنجح في العضويات ضرورياً خاصة من النماء ، وصوراً بعينها من النشوء ، ولا جرم أن حياة كل كائن عضوي وشخصيته إنما تحكمها وتؤثر فيها هذه العوامل والنظومات الثابتة ، كما تؤثر فيها مجموعة الحالات الطبيعية التي تنشأ مع نشوء حاجات كل كائن لأن ينمو ويتطور . وكذلك الحال إذا رجعت إلى تاريخ كل كائن من العضويات . فأنك تجد أن ضروريات التهذيب التي تقع في عالم الحياة والتي تخضع في جل الحالات لتناظر العضويات من ناحية ، ثم تألفها من ناحية أخرى ؛ كما تخضع لمختلف صور تلك القوى المتشابهة التي تخلفها معركة التناحر على البقاء الدائمة في الكون ، لها أثرها ولها دورها الذي تلعبه على مسرح التاريخ العضوي .

فأنك تجد أن كل كائن من العضويات لا يستطيع أن يحقق كمال شخصيته في الوجود ، مستقلاً بحياته استقلالاً تاماً عن بقية العضويات . فان القوى العالمية في مجموعها وفي تشابك حركاتها وتخالط صلاتها ، هي المرجع الذي تعود إليه كل ظواهر الحياة في كل كائن عضوي . حتى أنك لتجد أن نشوء كائن عضوي (والمقصود هنا النوع لا الفرد) وحرية ، رقيه أو انحطاطه ، مرتبط كل الارتباط بنشوء غيره من العضويات حركاتها وقياسها وانحطاطها . وهذه الحقيقة الأساسية تنطبق تمام الانطباق على عالم الحياة الانسانية .

(١٩) الحياة الانسانية

تخضع الحياة الانسانية لما تخضع له بقية الكائنات العضوية . تخضع لتأثيرات القوى والمواد الطبيعية . كما أن هذه القوى والمواد الطبيعية تحكم في حياة الانسان ، بل وتحكمها على قواعد ثابتة . فان نماء الانسان ونشوره وحرية ، إنما تتوقف على مستوج الصلات المتبادلة للقائمة بين المؤثرات المختلفة التي يختص بها المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي . فان تفاعل القوى الطبيعية بآثارها ، حسنة أو سيئة ، مفيدة أو ضارة ، هو الذي يخص كل كائن بشري بصورة معينة ، كما يزوده بقوى عقلية وأدبية خاصة ؛ هي نصيبه من الطبيعة ، غير منازعة فيها ، ولا مرغم عليها .

من هنا نجد أن تكوين الجماعات وتأسيس الحكومات، وتنظيم طرق التعليم والتربية وتقديم الآداب، وإقامة قواعد الدين ومراعاة العملية، وعلى الجملة خلق كل المعاهد والنظمات، وكل مظاهر الحياة الإنسانية، إنما تتأثر وتتهدب بما في المحيط من القواعد الاجتماعية والطبيعية؛ وتبين ببيان الظروف التي تترك أثرها الثابت في البرية، شأن الحياة الإنسانية في هذا، كدأ أن النباتات والعضويات الدنيا التي تبين تراكيما أكبر التباين وتختلف خصائصها أشد الاختلاف، حتى تحوز من المكافأة ما يوافق العوامل السكرية المختلفة. فإن اختلاف ظواهر الحياة البشرية وخصائصها، باختلاف مجموعة المؤثرات التي تكتسبها، يتجلى ظاهراً يبين في بيان طرق الحياة ووسائلها، وبهذا يحتفظ لأنسان بقائه نوعه وشخصيته الإنسانية، مصية في قوالب ثابتة، جماعها يكافئ الحالات المتباينة التي يخصصها المحيط اجتماعياً وطبيعياً. وعلى هذا نرى أن الدين والحكومية والآداب، وبقيّة الظواهر التي تخص بها الحياة الإنسانية، تكتسب بهذه الطريقة خصائص متباينة شكلاً وروحاً، أدى وقوعها تحت تأثير مختلف العوامل والأطوار.

إن الباحث الوحيد الذي يضطر الإنسان إلى الخضوع للاعتبارات الاجتماعية والطبيعية، هو حاجته القصوى إلى التوفيق بين ظواهر الحياة ووسائلها، وبين ضرورتها المتناحرة على الحياة. فالحركات السياسية والدعوات الدينية، وتأسيس المستعمرات؛ وتشديد قواعد الإنتاج الصناعي، وغير ذلك من ظواهر الحياة كلها، تخضع لعدد وافر من القوى الاجتماعية والطبيعية والنفسية التي تخضع لها الحياة الإنسانية في وجودها الكوني. وعلى هذا تقضى بأن نشوء الأمم وتقدمها وتحررها واستقلالها أو استعبادها وانحلالها، لا يتوقف على حاجاتها التي يستعصى عليها الحصول عليها لتقدم وتترقى لا غير، بل أنه لا يحدث بدياً بفعل خصائصها الحيوية وحدها، بل يرجع إلى مجموعة عوامل كونية، لو استطعنا اكتشافها، استطعنا أن نخلق من التاريخ مقبلاً عليها، نفيس به على الوجه الأكمل مستقبل الأمم والشعوب.

وعلى الجملة نقول بأن سعادة أية جماعة من الجماعات الإنسانية أو شقتها، كما أن نعيمها أو انحلالها، وتمتعها بحريتها أو حرمانها نعمة الحرية، وأجمالاً غاية

كل أمة من الأمم ونهايتها ، تتأثر بتفاعل كل القوى الكونية التي تحيط بالحياة الإنسانية . وهذه القوى تظهر في أقوى مظاهرها من طريق الصلات الدولية التي تقوم في كل عصر من العصور ، وتتركز هذه القوى من حول ، مركز الجذب الاجتماعي ، ونعني به أقوى ميل دولي نحو شيء بعينه ، من هنا نجد أننا إذا أردنا أن نفهم حالات أية من الأمم ، فانه من الضروري تحيط بالحالات القائمة في عالم الحياة الاقتصادية في زمان معين ، وأن ندرس بتدقيق وأناة ، آثار القوى الطبيعية والاجتماعية التي نشأت من تخالط العلاقات التي قامت بين أمم مختلفة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعقلية والسياسية .

(٢٠) النتيجة

إن الحقائق التي زودنا بها التاريخ بعد أن يتخذ من علم الحياة - البيولوجيا - دعامة يقوم عليها ، ستكون ولا شك من الفائدة لعلم الاجتماع بقدر ما نتجى من فوائد العلوم الرياضية الآن في تركيب قواعد المنطق ، والحقيقة أنه ليس من الظواهر المختلفة التي تتجلى في حياة اتصالات البشرية والأمم ، ماهر خاص بأمة دون أمة ، أو قوم دون قوم ، ذلك لأن هذه الظواهر في مجموعها نتاج التأثيرات المتبادلة القائمة بين الأمم ، لهذا نجد أن مثل الاخلاق القومية وأنما تشكل العلاقات المتبادلة والصلات القائمة بين الجماعات في عالمي الحياة والفكر . ونجد من ناحية أخرى أن هذه العلاقات الدولية التي تتجلى في الهجوم ، الدفاع ، والحرب والسلام ، تظهر في مظاهر تختلف باختلاف الزمان والمكان . وبذلك ينشأ عنها قوميات متباينة منها تكون السلالات البشرية ، ومنها تنشأ مثل الاخلاقية الشنتية التي تختص بها كل سلالة من السلالات . ونجد من جهة ثالثة أن مظاهر الحياة التي تنشأ عنها مثل القومية المختلفة والاخلاق الشعبية المتباينة ، في تغاير مستمر من حيث الصورة والروح ، تبعاً لتغاير الحالات الطبيعية التي يختص بها المحيط أو البيئة . وما دام في الانسان قدرة على أن يكافئ بين حاجاته وأوجه نشاطه ، وبين الظروف المتغيرة التي يتكون منها ما نسبته المحيط من الناحيتين الطبيعية والاجتماعية ، فجمال الأمل واسع فيسمح في تقدم الإنسانية .

الرجعية الفكرية

وكيف تنظم الدعوة لأحيائها في مصر

ندعو إلى حرية الفكر، وندعو إليها بحماسة وبثبات، وإذا أراد خصومنا أن يعرف لهم ماهي حرية الفكر، فإننا لا نتلصك في أن نقول أنها التحرر من التقاليد مصروفة إلى كل شيء ثبت مع الزمان، وتناقلته الأجيال فأكسبه عبر الأيام وتطاول الاحتمالات صفات الثبات والجمود، وألبسته المشاعر ثوباً من القداسة بالياً، أو رقعته الجدليات المعضة، والفرضيات الساقطة بما يرأب شيئاً من ثغوب إلى التي أكلت ظاهره وكادت تشق عن خفيه.

وإذا لم يرضهم هذا التعريف فإننا نقول لهم إن حرية الفكر هي الحياة، وجود الفكر هو الموت والقيام، فإننا لم يرضوا عن هذين القولين فإننا نقول لهم إننا ندعو إلى الحرية الفكرية فاعين بأنها الطابع الثابت للارتداد باعتبارها انساباً يعرف مقدار نفسه ويدرك مقدار ما له من قيمة أزاء الكائنات التي تحجب به، وإن الجمود والرجعية طابع العجوليات والسواثم التي يتغير من حولها الزمان وهي ثابتة على صورة من الغريرة واحدة، حتى يدركها الموت، فلا تترك من ورائها إلا رمة بالية، وهيكلاً عظيماً أجوفاً لا ينقصه إلا الرقوى ليصبح طيناً، أشبه بالطين الذي فرغ منه تلمب يد الفيلسوف على أن لا أدري كيف أذهب مع هؤلاء الداعين إلى الرجعية الفكرية، مذهب من يريد أن يناقشهم بالدليل والبرهان، ويقترح لهم الحجة بالحجة، ويضرب لهم البينة بالبينة، وجل سلاحهم القول بأن للحكومة ديناً تدين به، وإن هذا الدين يجب أن يحصى، ومن يحصى لا ندري.

كذلك لست أعرف من بين هؤلاء الذين يقولون بأن الدين الرسمي في خطر وإن الأباحية (على ما يقولون) كادت تقضي عليه وأنه في حاجة إلى حماية السلطة الحكومية، من هو على علم بمفترقات الطرق الفكرية التي سالت فيها تيارات الفكر الحديث، حتى تكون إذا مضينا في مناقشته على بينة من أمره وأمرنا، ليس فهم على ما اعتقد من يستطيع الادعاء بأنه يدرك الفرق بين العلم وبين الفلسفة والأدب، ومع هذا الجهل المطبق يدعون أنهم يدافعون عن الدين. ولو أردت أن تعرف منهم ما هو الدين مقيماً بالعلم، لما رفع أحدهم في وجهك بعبقيرة البيان، بل استخفى وراء القول بأن الدين الرسمي يجب أن يحصى، وإن الدين الرسمي هو دين الإسلام.

تؤمن بأن الدين الرسمي هو الإسلام ، ولإله إلا الله ومحمد رسول الله . ولكن ألا يتجهل الماعون إلى هذه الرجعية الفكرية من نفس دعواهم ؟ ألا يتجهلون من أن القول بأن الدين الرسمي " دين الله ودين الأمة المتحدة " ، لا تعاليمهم في مناقشة يبرها عزيم ورشيد رضا ؟ أصبح الدين من الوهن والخور بحيث يخشى عليه من مناقشة يحاول فيها عزيم إثبات صحة رأيه في مساواة المرأة بالرجل في مرافق الحياة ؟ وضد من يريد هؤلاء أن تحمي الحكومة برجلها وسلاحها وسلطانها الدين ؟ أمن فرد واحد صاحب صيحة يبدأ بخالف التقاليد ؟

وإذا كان الأمر كذلك فانا نناقلهم :

- (١) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد نصت على حبس السارق ولم تأخذ بقاعدة قطع يده ؟
- (٢) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد طبقت قانون نابليون في الجنابات بدلاً من قانون السن بالسن والعين بالعين ؟
- (٣) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد قيدت سن ذواجن الجنابات والدين يبيع من الزواج ولا يتحدد ؟
- (٤) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد أخفيت مبدأ الكشف العلمي على مدعيات الحمل ليقرر العلم كذبهن أو عسفهم بدلاً من أن يدعين الحمل إلى سن قبأس وقد أباحت للذاهب المقدسة
- (٥) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد أباحت قتل المسلم في رجل من أهل الكتاب ؟
- (٦) من ذا الذي يحمي الدين من الحكومة المصرية وقد جعلت العلاقات الثلاث حلفة واحدة وكان الشرع (عليه السلام) لا يجوز بعدها عودة الزوجية إلا بمحل ألا فليجروا !!!

أليس الحكومة صاحبة الدين الرسمي وحامية ذمارة والدا منحة عن جبايته هي التي اعتدت عليه هذه الاعتداءات الكبيرة ؟ أليس هذا هو الدين الرسمي للحكومة التي جعلت الكثير من أحكامه مستعينة عنها بأحكام قانون نابليون ، حتى لقد نظرت في ذلك إلى أبعد الحدود فأباحت البغاء وحملت الباشيات رخصاً رسمية ، ثم لم تترجم الزاني ولا الزانية ؟

يا عالياً أظن أنه لا يجدر بأن يحمي الدين من أباحية هذه الحكومة إلا سمو الأمير عمر طوسون والشهيد رشيد رضا .

كنا نود أن لا تفتح مثل هذا الباب وأن نوصده ونشد من وراءه ألف رواج ،
لولا أن بدأ قوة شدت المزاييج القندية فافلت منها روائع الماضي البعيد ،
روائع ذبيحة النصراني وحل يجوز أن يأكل منها المسلم ، و بطلها المرحوم الشيخ محمد
عبد ، كما كان منحيتها . بطلها إذ نصر الفكر الحديث ، ونحيتها إذ تألبت عليه اقوات
التي يريد اليوم أن يؤلبها ضد الأحرار سمو الأمير عمر طوسون ، الذي نرجح لأنفسنا
أن تناقشه الحساب على ما نشر وعلى ما دعى إليه علنا ، مادام قد تنازل سموه
وسمح لاسمه الكريم أن ينشر في ذيل مقال في صحيفة عامة .

غير أن أميتنا لم تتحقق وأخذت يرواثر الضلال الفكرية تلوح من وراء السكون
الظاهر مادام قد فسخ فيها فم (أمير) تجل فيه الامارة ، وتجل فيه صدته بالجالس
على عرش مصر ، وفرض علينا أن لا نعد بطرفنا إلى جلالة تلك الذات الاختصاص
مفنى الرؤوس ، فإن لمصر علينا حقاً ولعرشها في حقنا أمانة ، نكون خاتمين
إذا لم تردنا كاملة

ولكن سمو الأمير عمر طوسون قد تنازل فزاحم الصحفيين في أعمدة الصحف
وأخذ يدافعهم فيها بالمشكبات والنوازع ، فلا لوم علينا إذن إذا نحن استبعضنا مناقشته
مناقشة الصحفيين مادام سموه قد فضل هذه الميعة القليلة على أن يستقرأطية الامارة ،
المحصل أن سمو الأمير عمر طوسون كتب إلى صحيفة الأهرام رسالة مطبوعة
أشرت تحت امضاءه الشخصي ، لا تحت امضاء بائعهاون الدائرة كما هي العادة ، موجهة
إلى صاحب المعالي وزير المعارف جاء فيها :

حضرة صاحب المعالي بهي الدين بركات بك وزير المعارف

« كتب اليارحط كبير يتفون عن المائتين من أعالى القيوم بينهم علماء ومحامون
أهلون وشرعيون وعمد وأعيان ونجار وكثيرون من الموظفين ونظار المدارس الاميرية
ومعاليها يطلبون اليانا أن نرفع صحتنا لايقاف نبار الاحاد في الدين والخروج عن
حدوده بمناسبة المناظرة التي وقعت في كلية الحقوق بين الاستاذين محمود عزمى أفندى
والسيد رشيد رضا في مسألة مساواة المرأة بالرجل وما كتب عن هذه المناظرة في
جريدة الأهرام الغراء بتاريخ ٩ يناير سنة ١٣٠٩ بقلم أحد محرريها أحمد الصاوى أفندى
ولما كانت وزارة المعارف هي الموصلة على الجامعة المصرية وما يجري فيها ، فانا
نلفت نظر معاليكم إلى أن ترك الحيل على الغارب للمتناظرين واعطاء الحرية المطلقة
للحاضرين وخصوصاً في بلد حديث عهد بالنشوة العلية والفطر المصري دون أن

يراعي في ذلك الشعور الديني وما يجب من الحرمة للمعتقدات مما يلحق في روع الأمة سوء الاعتقاد في الحكومة وانها ترضى الخروج على الدين والاستهتار بنصوصه .
 . وبما ان الدين الرسمي لمصر الذي نص عليه الدستور هو الدين الاسلامي فيجب ان يكون لهذا النص معناه والا يكون كلاما بغير مدلول . واذا كان الامر كذلك فكيف يسوغ الجدل في نصوص الاسلام النطقية كمسألة تقص حجب المرأة في الميراث عن الرجل في معهد تومس عليه حكومة مصر الاسلامية

، على ان المرأة المسلمة لا ترى حظها في الميراث قليلا بالنسبة لحظ الرجل الذي جعلت الشريعة الاسلامية عليه مقام كثيرة بجانب هذا الحظ اعطيت النساء منها ولم يسم لآ في القديم ولا في الحديث من النساء المسلمات شكوى من ذلك . وقد ايدت الزعيمة المصرية السيدة هدى هاشم شعراوي هذا بصفحتها رئيسة جمعية الاتحاد النسوي عندما طلب منها حضرة سلامة افندي موسى ان تجعل في عداد حقوق المرأة المصرية التي تعمل جمعيتها على المطالبة بها مساواتها بالرجل في الميراث لما يكن من السيدة الا ان ردت عليه رداً مفصلاً قالت فيه بالاذلة والبراهين ان نصيب المرأة المسلمة في الميراث يجعلها اكثر حظاً من اختها الغربية

، فهل يصح بعد ذلك ان يقول بعض الرجال منا اننا لما اطلق في مساواة الرجل في الميراث وفي كل شيء، ولا ينال بها في ذلك من مخالفة لنصوص الدين الاسلامي الخفيف فضلاً عن عادتنا واخلاقنا وقيمنا القومية... الى آخر ما جاء بكتاب سمو الامير الجليل والقدرد معالي وزير المعارف على سمو بكتاب آخر كتبه هنا بحروفه :

حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون
 تشرفت بكتاب سموكم المؤرخ ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ خاصاً بالناظرية التي انيت بكتابة الحقوق في مسألة مساواة المرأة بالرجل وما كتب عنها في جريدة الاهرام بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٣٠

واني أشكر لسموكم ما تدونه دائماً من الغيرة على شؤون الدين وسافحص هذا الامر بالعناية الواجبة لاجراء ما يتفق وتوافقين البلاد والمحافظة على حرمة الدين الكريم

وتفضلوا يا صاحب السمو بقبول اسمي عبارات الاجلال والاحترام .

وزير المعارف

محمد بهي الدين برنات

والتي نوجب له في هذا الأمر كله على ثقافته أن الامراء في عصر النهضة
الاروية قد حموا حرية الفكر ، حتى أن ولوثر ، لم يحبه من سطوة الكنيسة الرومانية
الامير ألماني ، اعلن الحرب على البابوية ، ولو لاه لما فاهم لحركة الاصلاح الديني
قائمة . ثم نجد في مصر أن أميراً خطير القدر على المقام يكون داعية ضد هذه
الحرية الفكرية ، مصوبة في أشد قواها تواضعا ، إذ تحاول التعديل الفكري من
ناحية الاصلاح الاجتماعي .

على أننا لا نبيح لأنفسنا أن تناقش الأمير مناقشة الصحفي للصحفي . بل نكتفي
بأن نذكره بمقاييع من الماضي القريب لعنا نستطيع أن نخفف بذلك من حدته التي
ظهر بها في يظهر الصحفيون أمثالا على صفحات الجرائد .

يعلم سمو الأمير الجليل أن محاكم التفتيش (روحها الله ورحم زعانا) لم
تكون إلا تحت تأثير شعور قام يثنى في رأس أمير . فان القرن الرابع الميلادي
كان آخر عهد الكنيسة بالاضطهاد من السلطات الوثنية . فلما أمنت الكنيسة شر
الاضطهاد أخذت هي بذاتها تضطهد أعدائها . ومن هم أعداؤها ؟ هم الاراطقة
أو الهرطقة باسمو الأمير . حتى إذا تخلف الزمان عن بداية القرن العاشر الميلادي
وهو القرن الذي اعتقدت فيه الكنيسة اعتقاداً مقدساً أنه آخر الدنيا ، وأول العهد
بالآخرة ، زاد اضطهاد الكنيسة للهرطقة ، أحرار الفكر ، ووضعت الكنيسة
نظاماً يحاكم به أعداؤها . فإذا صدرت متدهم الأحكام ، سلموا إلى السلطات الزمانية
لتنفذ فيهم مشيئة الكنيسة ، لا مشيئة الله يا سمو الأمير . فكانت القاعدة أن يحرقوا
أحياء من غير أن تراق منهم قطرة من دم ، شفقة بهم ورحمة !!!

وجاء عصر الامبراطور فردريك الأول وثبعه فردريك الثاني والبابا أنومان
الثالث فزادت اضطهاداتهم وقسوتهم ثم عصف غريغوري التاسع ففكرة التفتيش وعهدها
إلى الآباء الدومنيكين . ولقد كان من أسس هذا النظام أن يحضر المتهم للمحاكمة
من غير أن يعرف الزمة ليحاكم سرياً ومن غير أن يعطى فرصة الدفاع عن نفسه
ولم يقع المورخون بأسيدى الأمير حتى اليوم على قضية واحدة من القضايا التي
ظرتها محاكم التفتيش حكم فيها بالبراءة على إطلاق القول هذا النظام بأسيدى الأمير قد
ألغى الآن ولم يبق له من أثر بعد أن رفع تمثال الحرية على شواطئ أمريكا مشعل
النور مستقبلاً أمواج بحر الطغاة .

لقد كتبت الدساتير للأفراد بأسيدى الأمير حرية الفكر والقول والنشر ، وأظن

أن رد معالي وزير المعارف على سموكم فيه شيء من ذلك . ولو أنك استشرتني
ياسيدي الأمير قبل أن تنشر رد معاليه على سموكم ، لاشرت عليك بالاقلاع عن نشره .
لأنه في الحقيقة يريد أن يقول إن قوانين البلاد لا تسمح بمثل ما تريد سموك ولكن
أدب معاليه اضطره لأن يسوق المعنى في قالب يصح أن يخاطب به وزراء الدولة
أمرأها .

ياسيدي الأمير نحن في القرن العشرين . وبالأخص كاد لورد كرومر أن يقتل
قصر عابدين بمجنوده المسلحة ، لما علم بأن سمو الخديو السابق حاول أن يكيد من يدعي
ليون فهمي ١١١

ياسيدي الأمير . نحن تلقى الثقافة الحديثة . وفي مصر . فإذا ذكرت ذلك
ياسيدي الأمير يحدثنا السري وتمثلنا بقول القائل
وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرعنا بالآباب المسافر
اسماعيل مظهر



نزعة التجديد الحالية في مصر

وتحليلها في ضوء نظرية التفسير المادي للتاريخ

بقلم الأستاذ عصام الدين حفيظ ناصف معيد علم الحيوان بالجامعة المصرية



العالم يتطور ويرقى ويتقدم إلى الأمام في خطوات سراع ، فمن لازعوه في تقدمه فازوا في معترك الكفاح لأجل الحياة ، ومن أبوا إلا أن يحتفظوا في رؤوسهم بعقيدة القرون الحالية وأفكار أهلها ونظراتهم في الحياة ، فمؤلاهم الذين يتجاهل الجيل الحاضر وجودهم ويحاطمهم يقدميه

ولقد يتم تطور الشعوب - كإيرى هيجل - بتأثير الأفكار العظيمة التي يبشر بها دعاة المذاهب الفكرية المختلفة ، ومن ذا الذي ينكر التوحيد المنظم الذي مهدت به كتابات جان جاك روسو وزملائه من الإنسكوب بيزيين عقول الفرنسيين للقيام بثورتهم الكبرى . ومن ذا الذي ينكر ما أحدثته كتابات تولستوى وأخضرا به من كبار كتاب الروس في إعداء شعب غير منقذ كالشعب الروسي للقيام بتلك الثورة التي لفحت بليلها دول العالم أجمع

لقد أصبح من المسلم به أن الظلم لا يحدث التورات ولكن يحدثها الشعوب به ، واذن فالذي يدأب على افت نظر أمة من الأمم أو طبقة من الطبقات إلى ما يصيبها من ظلم كانت غافلة عنه ، لا يقل اشتراكا في ثورتها عن يتولى قيادة حركاتها المسلحة

على أن هناك مذهباً آخر يعزو الفضل الأول في حدوث جميع التطورات الهامة التي يحدثها التاريخ ، إلى تطور الظروف المادية والاقتصادية ، تلك هي نظرية التفسير المادي للتاريخ التي قال بها كل من سان سيمون وكارل ماركس

يرى ماركس أن الأفكار المثالية ليست إلا انعكاس الظروف الاقتصادية ، واذن فليست هي الدافع الحقيقي الذي يثير الحركات الاشتراكية وغيرها ؛ وإنما الدافع هو تغير ظروف الإنتاج

والقائلون بهذه النظرية لا يستقنون منها أية حادثة اجتماعية أو سياسية أو دينية ، فالاديان والمذاهب الدينية ليست إلا نتيجة للأحوال الاقتصادية ، وبما أن هذه تتغير

بأطراد فلابد من أن تغير الأفكار الدينية أيضا وعلى ذلك فالاديان لن يتحوها الناس بل تنقطع من نفسها بتغير طريقة الإنتاج

وليس ظهور المسيحية كدين عالمي الا منطبقا على هذه القاعدة. فقد نمت الثورة الرومانية المتسعة الاربعاء عدة قواميات فاختلفت الآلة القومية وأصبحت الثورة العالمية في حاجة الى دين عالمي . وازداد اتصال بعض الناس ببعض الآخر بتأثير الانتاج في زيادة مطردة ، وبذلك نشأ الدين المسيحي

وكذلك انقسام المسيحية الى بضعة مذاهب . فانه يرجع الى الاحوال الاقتصادية . فالكاثوليكية هي الملائمة المناسبة للقرون الوسطى بين المسيحية وحكم الانقطاع . فلما اهل نعم الحكم القطاعي أخذ نجم الكاثوليكية أيضا في الافول وابتس، الاصلاح البروتستانتي، الاثورة الشعب الناهض في وجه سلطان الكنيسة الاقتصادية فالكثيرة بصفتها أكبر ملاك الاراضي ، فانتعشا انتفض عتفة في وجه طريقة الانتاج الاخذة في التقدم ، والشعوب التي قامت بالاصلاح انقادوها الى ذلك معاكسة الكنيسة الكاثوليكية لمصالحها . بجانب الى ذلك ان الكنائس قد امتدت في استعمال الدين كوسيلة لتأييد عدم المساواة الاقتصادية

واذا قرأنا كتاب (كلمات في الاسلام) للشيخ في الرومي بتدلي جوزي وحدنا به التفسير المادي لاهم الحوادث التي وقعت في تاريخ الاسلام

وقد وقعت ثورة فبراير سنة ١٨٤٨ في فرنسا بتأثير الازمة الاقتصادية الحادة في سنة ١٨٤٧ فلما تسرت الاحوال تدرجيا سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٥٠ بدأت الثورة وانتشرت الأفكار الرجعية

ولنظرونا الى الاشتراكية وهي أكبر ما أصاب العالم في القرنين الاخيرين من التطور، لو جدناها ناشئة من خنراخ الآلات الميكانيكية وهي أكبر تطور اقتصادي شاهده العالم في نفس المدة

في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر سبقت انجلترا العالم الى اختراع الآلات البخارية والمصانع الميكانيكية للغزل والنسيج والورق وغير ذلك . وازاد ما تصدره من الماسوجات القطعية الى خمسة عشر ضعفا في مدة عشرين سنة بين عامي سنة ١٧٨٠ وسنة ١٨٠٠ ولكن العمال لم يكسروا من ذلك شيئا بل ألغت الحكومة عام ١٨١٤ قانون سنة ١٥٩٢ الذي كان يحميهم بتجديد وقت العمل ومنعه ليلا وتقدير الاجور بواسطة السلطات الحكومية ولجان التحكيم . وقد استحدثت الحكومة في الغاء هذا

القانون الى أن العامل المسكين لا يملك غير وقته فمن الظلم والانهجيم على حقوقه أن تتدخل الحكومة فتمنعه عن الانتفاع بهذا الوقت الذي لا يملك سواه

ثم طرأت حالة جديدة أذا أخذت المصانع تستبدل العمل اليدوي بالعمل الآلي وتنتج عن ذلك أنها استغنت عن عدد كبير من العمال ثم استبدلت الباقين وهم من الرجال الماهرين في الاعمال اليدوية بشبان غير مدربين ولكنهم يستطيعون إدارة الآلات . بل أن العامل لم تتورع عن استخدام عدد كبير من الاطفال وتكليفهم بالعمل نفس المدة الطويلة التي يشتغلها الرجال البالغون

وقد عم البلاء طبقة أخرى غير طبقة العمال الأجوريين وهي طبقة صغار المنتجين أصحاب الحوانيت والمصانع الصغيرة فقد اضطروا معظمتهم الى إقفال محل عملهم ليستغل كعامل أجور اذا وجد أمامه عملا

وعرف العمال في الآلات عدوهم الاله فشرعوا في مكائحتها . واستمر هذا الشعور العدائي نحو الآلات طويلا فقد كتب بعض زعماء نقابة الاراني في سنة ١٨٤٤ يقول : الآلات هي المذبذبة في كل ذلك . فقد رجت بكم في سجون هي شر من الباستيل الباريزي . لقد شردتكم من دياركم فبحثوا في انديار الاجنبية عن الوطن الذي ترضى هي به عليكم ، وفي نظري ان كل التحسينات التي من شأنها انقاص الحاجة الى القوة العاملة ، انما هي اللعنة المهلكة التي يمكن أن تحمل بالطبقة العاملة . وارى ان الواجب الاقدس على كل عامل هو أن يعمل بكافة الطرق الشرعية على اقامة المراقيل لمنع استجلاب هذا الصنف في أي فرع من فروع صناعته .

وطالما قدم العمال منتمسائهم الى مجلس العموم فلم يقدم شيئا ولذلك بحثوا عن تفرج لكربهم في مهاجمة المصانع وآلاتها ومن يشتغل بها من العمال . وكان تأسيس النقابات اذ ذاك عملا يحرمه القانون فسكأت النقابات تتكون بشكل سرى ولذلك فقد كانت طبيعتها مبالغة الى اعمال العنف

وعندما رفض المجلس سنة ١٧٧٩ مشروع قانون بتظيم حالة عمال الجوارب نأز العمال وذهبوا زرافات الى توتنجهام فحطموا ما يربوا على ٣٠ آلة والقسوا بها من النواخذ كما أحرقوا أحد المنازل وبلغت الاضطرابات أشدها في صناعة الصوف اذ بقيت مناطق صناعية في غرب يوركشاير وكذا توتنجهام وليستر ودرشاير وما يجاورها ، من سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨١٥ مسرحا لاعنف الحركات الموجهة ضد استجلاب الرأسماليين للآلات وقد قامت هذه الحركات بحجب جلب عدد كبير من آلات الحديثة كانت نتيجة استعمالها طرد عدد كبير من العمال

وأخيرا أصبح تحطيم الآلات والثوباء في انتشاره وأخذت جموع العمال تجتمع ليلا وترحف على المصانع فتعمل فيها يد التخريب

وقاد الحركة في نوتنجهام من يدعى ندلود (Ned Lud) من سنة ١٨١٦ إلى سنة ١٨١٤ ولم يستطع البوليس والمليشيا (الحرس الوطني) التغلب على الحركة فاستعانوا على ذلك بسبع كتائب من الجيش

وسنت الحكومة عدة قوانين ترمي بها إلى مقاومة الحركة ولكنها لم تستطع الوقوف في وجه غضب العمال

ففي سنة ١٧٢٧ جعل الاعدام عقاب من يحطم آلات نسيج الجوارب وفي سنة ١٧٨٢ صدر قانون يعقاب من يدمر آلات أو منتجات صناعة النسيج عامة وفي سنة ١٨١١ صدر قانون بنفي من يدمر مناسج الجوارب - لمدة ١٤ سنة ، ثم استبدلت العقوبة في نفس العام بالاعدام ، وقد زادت هذه القوانين من شدة الهياج بدلا من تهدئته

فقد هجموا سنة ١٨٢٣ على مصنع للنسيج يدار بالبخار ، كان صاحبه قد بناء سرا مهددوه وأمروه باخراج الآلات من المصنع فأخرجها فحطموها تحطيا ، وفي سنة ١٩٢٥ تأسست نقابة صناعية واعلنت اعتريها دام ٢٢ أسبوعا أي ما يزيد على خمسة أشهر - وفي السنة التالية قامت ثورة في بلا كورن و امتدت حتى لمانشستر ولم يتمكنوا من اخراجها يكتائب الجيش الا بعد أن سطت ما يربو على ألف نول بخاري ، وقامت ثورة في لانكشير حطموها فيها من صباح الاثنين إلى مساء السبت ألف نول تقدر قيمتها بثلاثين ألف جنيه

قال مار تينويصف و اسبوع ابريل ، بلانكشير ، لقد كانت اكداس الشعب تسرع من بلد إلى بلد ومن مصنع إلى مصنع وكانوا يسرقون المواد الغذائية من أفران الخبازين ومن المطاعم ، كما كانوا يلقون الاحجار على الجنود مفضلين أن يلقوا حتوفهم على ان يتركوا العبيد ، وما ذلك الا لانهم كانوا مقتنعين باخلاص أن حياتهم وديانهم متوقفان على تحطيم الآلات .

وقد قام في اوائل القرن التاسع عشر عدد من كبار الكتاب الاشتراكيين بما همون حتى اصحاب الاعمال في تقرير اجور العمال - نذكر منهم Bray و Gray و Hall و Owen و Hodgskin و Thompson و المجال لا يسمح بذكر اهم اراء كل منهم ولكننا نعرف على كل حال أن أجور العمال الانجليز قد تحسنت بعد ذلك كثيرا

وكذلك يتبين هنا أيضاً أن الظروف الاقتصادية متى تغيرت تغير تفكير الناس تبعاً لذلك ، وتحتّم أيضاً تغيير نظمهم وعواثمهم . ولن يقف في سبيل هذا التطور أي أرباب حكومي أو شعبي ، بل أن هذه الوسائل قد ثبتت فشلها في معظم مآثرهم من حوادث التاريخ . فإن القانون الاستثنائي الذي أصدرته الحكومة الألمانية سنة ١٨٧٨ إلى سنة ١٨٩٠ باسم مسمى الاشتراكية الديمقراطية المتناهي الخطورة ، قد أدّى إلى تعاظم حزب العمال بدرجة محسوسة ، بل أن الشقاق الذي أحدثه الزعيم الإصلاحى الديمقراطي برنشتاين في صفوف الاشتراكيين الديمقراطيين قد انتهى تحت تأثير التدخل الحكومى العنيف ، إلى فشله وتحولت حركة العمال تحولاً مائلاً إلى الاشتراكية الماركسية واهم عياداتها بمجال الطبقات

ومتى كان من المسلم به أن الظروف الاقتصادية لأبد قاعلة الأرباب ، يتضح لنا أنه من الحق محاولة المقاومة الغير المجدية ، بل أن الواجب علينا أن نعيد الطريق أمام أنظم الجديدة كي توفر على أنفسنا تكاليف معركة نحن موقوفون فيها بالغلبة للجديد على القديم وبقاء الإصلاح الملائم لروح العصر ، على الحرم الذى فات أوانه وأصبح من البله أن نطلب عودة الشباب إليه

لقد حمل قاسم أمين وغيره من المجددين على الحجاب فقابلهم انتصار القديم بصراخهم الدينى ، واكتفى النساء فى أول الأمر بمراقبة المعركة ، ثم أخذن يشجعن المجددين الذائدين عن حقوقهن ، فلما نشبت الثورة المصرية عام ١٩١٩ واشترك النساء فيها بفسط وافر ، أجزرن لأنفسهن أن يتمتعن ببعض الحرية ، ولما كثر عدد اللواتى يقمن منهن بأود أنفسهن كالمهلمات والحسيكات وغيرهن ، لم يجدن مسوغاً لبقائهن زانحات تحت نير الرجال ، فأخذن يخلعن حجابهن تدريجياً وأخذن طراز ملابسهن الخارجية يتطور عاماً فعاماً إلى أن انقضى وليس بينه وبين الملابس الأوروبية فرق يذكر . ومن المستطاع قياماً على ذلك أن تؤكد قرب الوقت الذى سيكون فيه ذكر الحبرة والبرقع ، شيئاً للدهشة والاستغراب

وكان من نتائج التطورات الاقتصادية فى مصر أيضاً ، أن سقطت أرسطوقراطية الأسيادات القديمة أمام أرسطوقراطية العلم ، فلو تقدم رجل من نسل النبى أو من نسل أحد الملوك السابقين ، يريد الاقتراح بفتاة وتقدم معه تاجر ترى فلا شك أن الثرى

بحوز تخصصيل الفتاة وابويها ، ولو نافس الاخير طبيب أو محام أو مهندس الخ ، فالهزيمة للتاجر الجاهل ، ولو كان يربح ضعف الطبيب أو ثلاثة أمثاله .
وعند ما نشبت الثورة المصرية نشأت ارستوقراطية جديدة هي ارستوقراطية الوطنية . فأصبح الشبان لا يعبأون بالحكام والباشاوات والاعنياء إذا كانوا ممن اشتهروا بعدائهم للحركة ، وبلغت الاحزاب السياسية من القوة ما صارت تضمن به فوز مرشحها في الانتخابات ولو كان خامل الذكر ، وهزم الاعنياء وأبناء عايسى بالبيوتات الكبيرة هزيمة فاصلة ، وقد أخذ مركز هذه الارستوقراطية الاخيرة يتداعى بعد أن اثبتت الحوادث أن الاغلبية الساحقة من يدعون الوطنية ليسوا إلا نصايين مغامرين يتكلمون تفهم المادى والادنى على حساب المبادئ التي يتغنون بها .

ومن مظاهر التطورات الاقتصادية الاخيرة النفور الذي يقابل به الشعب رجال الدين والذين يقاومون باسمه كل تجديد أو اصلاح كالغاء الوهب وانساج ميزانية الازهر في ميزانية الدولة بدل الموافقة عليها بمرسوم ملكي كما هو المتبع الآن وقد أحس رجال الدين بعداء فريق من الامة تخلف حامية دار العلوم عما هموا استبدلوها بالملايس الافرنجية طالبين معاملتهم على اعتبارهم موظفين مدنيين . وقام الازهريون يطلبون الاصلاح وكاد يتم جزء كبير منه على يد الشيخ المرائشي لولا أن قامت السائس الرجعية بالقضاء على هذا الاصلاح في وقت كانت الامة مشغولة فيه بمسائل سياسية هامة .
هذا ومن يشاهد الجمهور وهو يرفض الاستماع الى نصائح رجال الدين فيما يخص بالشئون المدنية ، يعرف أنه ليس من المستحيل أن تقوم مصر بفصل الدين عن الدولة على النحو الذي حدث في تركيا .

وتجلى الروح الجديدة في مختلف المرائش الخيرية ، فقد يتناغم الآن الاقتراحات بتحديد الملكية الزراعية والغاء الرتب والنياشين وانشاء حزب للفلاحين أو للعامل أو حزب اشتراكي ، الى غير ذلك .

وكل هذا سهل ومفهوم اذا رجعنا في تفهمه الى نظرية التفسير المادى للتاريخ .

على ان ماركس لم يقصد بهذه النظرية أن يطبقها على الماضي فحسب بل انه يريد بها المستقبل قبل كل شيء ، واذن فلنترك الخيالات والاهام ولنبتعد عن مقاومة التجديد الذي لا بد ان يطرأ على جميع مراقبتنا كلما تغيرت ظروفنا الاقتصادية .

على السَّفود



وَالسَّفُودُ نَارٌ لَوْ تَلَقَّيْتُ بِجَاحِهَا حَدِيدًا ظَنُّ شَجَاً
وَيَشْرِي الصَّخْرُ يَتْرُكُهُ وَمَاذَا فَكَيْفَ وَقَدْ رَمَيْتُكَ فِيهِ سَلْجَاً ؟

يظهر أن الأمور منقبة على أعقابها وأن النهار المملوء من نور الشمس لا تكفي الشمس نفسها في الدلالة عليه أحياناً ولن يكون نهاراً لا بالشمس طالعة ولا بالأعين ناظرة ولا بشهادة مرآة أمريكا ولا بساعة جرينوتش في إنجلترا !!!

فقد عاد الشيع عبيد الله عفيفي يقول الشعر ولو أنه نظم مثلاً
وقال عفيفي حامداً ومصلحاً وصل عفيفي بمد حمد ويسمعه
والله هذا النظم في النحوي يلقى بتسعة أبواب تليهن نكته

لوقال الرجل مثل هذا ونشر مثل هذا واقتصر على مثل هذا لاحسن ممن وجوه كثيرة وقيل جاوز مالا يستطيع ان يستطيع وكانت هذه وحدها فضيلة تعد له وثوابها عليها ثواب الصبر وفيها على كل حال فائدة ، تسعة أبواب ونكتة ١١١ .

أما وهو يعلم حق العلم أنه ليس بشاعر وأن الشاعر لا يخلق على الكبر وأنه لا يذكر حتى ولا مع الشيخ شهاب أو الخرويش أو اللبني أو أبي النصر ولا يطلع شاعراً حتى ولا لأيام الجبرتي ، ثم هو مع ذلك ومع ما يبذل في شعره وصناعته وما يصرفه من أمر نفسه ، ومع أنه غير نائم بل مستيقظ ولا هرم بل شاب ، ومع أنه يرى بعينه حضارة العصر وينظر في نتيجة الحكومة أنها سنة ١٩٣٠ ويقرأ لشعراء مصر وغيرهم من شعراء الاقطار الأخرى ويعلم أن أدباء هذا الزمن بين قاري - لشكسبير وشكل ويرون وهيجو ولامرتين وموسيه وعلوت وشلر ودانتي ودانوليزو وأمثالهم وبين قاري - بشار ومنصور ومسلم وأبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتني والرحني والمصري وطغتم . مع كل هذا لا يتوب عن الشعر ثم لا ينظم شعراً إلا في أغلى وأسمى المعاني التي يضطرب من جلالها فلم التاريخ . تعار عندها انمراح الجلالة والتي هي بالطبيعة مبعث الابتكار ومثار الجلال الأدنى ومادة الخلق الجديدي في الفن الباني لانها ذات جلالة مولانا الملك فزاد سبب العصر في كل شيء ، السيادة ، الوهم لكن الامور منقلبة على أعقابها ولوق نظر الشيخ عظيمي وحده لما بلغت به الجرعة أن يعني هذه الجنائيات الأدبية كلها ، فهو مكلف أن يأتي بشعر لأقل من أن يقال في وصفه إنه لا يقل عن أشعار من ذكرناهم وإلا فشعره جريرة يجب أن يؤخذ عليها لانه يفضح به عصر وأدبها ويعطي منه الملامية مادة في الفن والصناعة لا يليق أبداً إلا أن تكون مادة إجلال وإعظام . فان جعلها غير ذلك بسخافة شعره وحقيق فكره وسقم ذوقه وبلاغة خياله فهي الجريرة الأدبية بكل معانيها إذ ليس عليه اضطراب أن يحمل عاتق كثير جرم اذا كانت قوة ذراعيه لا تحمل إلا ثلاثين أو أربعين فان وضع نفسه تحت المائتين حمداً ونحطاً خطأ ١١١ قاهر محتطاً بل هي جناية على نفسه جتاه

لا يمكن أن يكون مثل الشيخ عظيمي مغروراً الى هذا الحد فهو على كل حال أديب يميز طبقات الكلام ويعرف أن مائة قصيدة من مثل شعره لا تذكر مع بيت واحد من احسان المتني مثلاً ويدرك حق الانوار أن أدباء مصر مشهورون كل الاشعزاز من صناعة شعره هذا وأن قصائده أصبحت فضيحة بينهم وأنه أعيا يحسم هذه الفضيحة

بنشرها في صدر الأهرام بالحرف الكبير . فما هو السر الذي يحمله على الشعر أي التشهير بنفسه ؟

نعم أنه يذكر من ناحية أنه يظهر إخلاصه ولكنه كذلك أفيد هذا الإخلاص في هذا الشعر ، فله مثل من يحمله حب الصورة الفنية النادرة على أن يصورها وهو ضعيف في التصوير ، فبه حب وإخلاص للجمال إخلاص ولكن الألوان في هذه الحالة ماضي إلا إما آت حراء وصفراء وزرقاء ومن كل لون

وإذا رأى الغراب بلبلًا يغني قفزي !! أخشى إلى الغناء أم يحسن ؟ وهل يقوم في ذلك حذر رغبته بخرجة صوته ؟ وهل من الضروري يأسى غراب أن تليل

ولكن يقال إنه مع معرفة الشيخ عيسى بكل ما تقدم فهو مؤمل أن يكون نشر الأهرام لقصائده في صدرها بالحرف الكبير المشكول إعلاناً منها بجهال الشعر ولقراراً باستحقاقه التقديم وشهادة الأمة كلها بأنه لا سيف إلا ذو الفقار ولا شاعر إلا ... الشعور . غير أن الأهرام نشرت أخيراً في هذا ورئيس تحريرها الذي هو من كبار الأدباء يعرف كيف ينظم بدمه أفصح وأبين مما ينظم بأسانه أو يكتب بقله قشر القصيدة الأخيرة التي نظمها الشعور في عيد ميلاد سمو الأمير فاروق ثم أصبح في اليوم التالي ناشرها في صدر الأهرام ، فليتب عراباً ، ما يأتني بحروفه

نشيد «عاش فاروق»

عاش فاروق ولي عهدنا عاش فاروق المقتدى
فاروق عظم آمالنا فاروق نور المهدي
رب السما يحفظه لنا على الدوام على الدوام

ليس في الدنيا مثله هو عنوان القصار
الامة ملقة حوله نائرة له الازهار
ياربنا زيد في دلاله على الدوام على الدوام

ابن العلا بنو منير قد انار الانوار

عبي الآمال غصن نصير نال رضا الحكا
رب الخيال ماله نظير على الدوام على الدوام

كلنا فدية للوطن بطل مولانا فؤاد
حامى الشرائع والسفن ملك البلاد والعباد
رب التواضع والمن على الدوام على الدوام

عاش زهرة الأنام عاش بالمر والدلال
عهده عهد الوثام سعده مدى الأجيال
فخر الوطن إلى الأمام على الدوام على الدوام

ها أنت ذا أيها التاريخ أمام شعر عربي من بحر البر .. على وزن بفته هندي .
الضرب فيليب والعروض صوابا .

ولكنك أيضا من هذا الهرم الشعري أمام بلاغة مياسية في منتهى السمو هي
إعلان الأهرام هذا الشعر لا غير وأن صوابا وعفيفي عندها سواء وأنها
لا تشهد بشيء ولا تقدر شيئا وأنه لا يجوز لأحد أن يقول شعر عفيفي كيت وكيت
لأن الأهرام نثرته إلا ووجب عليه وجوبا أن يقول وشعر فيليب صوابا ...

نحن علم الله لا تعرف الشيخ عفيفي هذا وليس بنا منه ولا من شعره ولكننا
أمانة العلم وميثاقه الذي يقول الله فيه « ولديقته للناس ولا تكتمونه » ثم المحافظة على
سمعة الأدب في مصر وهي اليوم قبلة العالم العربي . ولو لم يكن عفيفي يصنع شعره
بصبغة الديوان العالي الملكي ما بالينا سكوت أو نطق لأن أمثاله كثير في مصر بل في
مصر نفسها تاجر كبير في الإسكندرية كان ذات مرة في مجلسه بعض العلماء فأراد التاجر
أن يظهر في مظهر عظمي فلم تكدر تعرض الفرصة له حتى انتهوا واحتج بقوله : إزاي
بامولانا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أردب ما هو لك ما تحضر كبله ...

قصيدة الشيخ عفيفي الأخيرة نظمها في عيد ميلاد الأمل الناشئ المبارك سمو
الأمير فاروق حرسه الله وأقربه عين والده العظيم وجعله من أيه كالضحى من الصبح
معين في نور واحد . وعنوان القصيدة « عيد الشباب » وهو عنوان جميل ولكن
بحث في القصيدة عن فلسفة الشباب وتأثيره وجماله ، والصلة بين شباب سمو الأمير

والنثر المصري الجديد والآمال المرجوة منها لمصر وتاريخها ، وما تفسد به عواطف الشعب من جمال ولي عهده وشبابه واجتلاء سحر الطبيعة المصرية الفنية في طلعت الوضيفة الفاتحة ، والوحى للامة بمعاني التفاؤل والتحرر ومرح الحياة ونضرتها الخ . الخ . فلن نجد في القصيدة من هذا شيئاً لأنها خارجة من قريحة ناضجة بل هي في كونها ليست أكثر من سخافات لفظية تحسبها خارجة من قاموس لا من قريحة . من شر عيوب هذا الشعر ورائه ضعف الملكة اللغوية جداً وهو مع ذلك رجل لغة ،

ومتى اجتمع هذان اجتمع منهما عيب يفسد الادب شعره ونثره . ذلك بان ضعف الملكة اللغوية إنما هو ضعف القدرة على ابداع التراكيب البيانية العالية من الالفاظ وكون الادب رجل لغة إنما هو في حفظ جملة الالفاظ والقدرة على استعمالها فقط دون بلاغة الاستعمال والابداع فيه . فاذا اجتمع هذا وذاك وانظر صاحبهما الى عمل أدبي . رأيت يراكم الالفاظ بعضها على بعض في عبارات حملة واستعارات مجتونة يبرأ منها البيان وان كانت نثرها اللغة . أي هي من جهة اللغة صحيحة غفلا وعربية ولكنها من جهة البلاغة هذيان وضعف فكأنها الفاظ في قاموس لا في قريحة إذ فيها عمل القاموس كاملاً مستغنياً وأما عمل القريحة فتناقض مشوه .

وهذه الطريقة هي التي سقطت بالادب العربي في العصور الأخيرة وجعلته أبرد وأسخف آداب الأمم كافة وكان التواضع الظاهر يقطرون عيوبها بالنكت البائسة التي لا بأس بها والتي هي في الحقيقة مساحيق على وجه عجوز وفي سن الثمانين أو التسعين ولكن غير هؤلاء ممن لم يزلوا ملوك النكت كانوا يصنعون تماماً كما يصنع محرر الديوان الملكي الآن فليس لهم إلا سرقة بعض المعاني ومحاولات في العجائز والاستعارات تبحر كما تبحر خلطاً وخطأً وإبطاً . ومنها في قصيدة الشيخ عفيفي نسام شهاباً ، سليل الدوحة ١١ بره هي المجد : غلظت العشر . نسفت الاماني . أرخ عتابة الرحمن سترأ . وحملك من عزمة الغيان درعاً ! تضي . سياحة . تطيب نيلاً . وهكذا هكنا لن كل تلميذ في المدارس يقتدر على مثل هذا واحسن منه وما هو بلغة في اللغة ولا شعر في الشعراء إن هو إلا تركيب مجرد طرية على طوية . فنصور كوخاً يبنى بهذه الطريقة ثم ارتقى قليلاً ونصور بيتاً ثم ارتقى ونصور « الشعر العربي لديوان جلالة الملك » يبنى قصراً بطريقة طرية على طرية ويرسمه قصراً فخماً

أحرفت الآن أنها أمور مضحكة أو أمور منقطة على أعقابها وان من واجب الديوان العالي الملكي أن يظهر غيره على أدب الامة فان لم ينعم على الادب بشاعر

كالنبي فليحرم من شعور كحور والعربي

أما نحن فسنمضي في نقد هذا الشعور لأنه أصبح من أقوى حجج المجددين الطاعنين على اللغة العربية وأدبها وشعرها فهم يقولون هنا هو قديمكم ليس فيه إلا وحك درعاً وطرز ثياباً !! وإن يقال هذا ؟ للجهل الشعري المتجسم في طليعة كطاعة الملائكة والمستقبل الأمة الذي يتصور في صورة بشرية سامية وللأمير فاروق .

يقولون هذا هو قديمكم في الحياة فدعوا الحياة تحكم لكم أو عليكم نعم دعوا الحياة تحكم ولكن بعد أن تخرج من محكمتها ما هو مزور علينا وبعد أن نعلن للجميع إن مثل هذا الشعر إنما هو في الهندسة البيانية أسلوب طوية على طوية لا غير . وأن من رجال الأدب العربي من لو فرغ للأدب والعمل فيه لغطى على كثير من لحول أوروبا ولكن من نكد الدنيا أن مصر حتى في كنوز الأدب تحتاج إلى (مكتشفين) كأن كل يدع فيها عليه سر من أسرار الموت

□ □ □

نظم الشيخ عفيف قصيدته مقلداً فيها قصيدة شوقي في المولد النبوي الشريف وأحسن بيت في قصيدة شوقي قوله بصف ولادة النبي صلى الله عليه وسلم .
الله وضعه وهما متيرا كما تله المياوات الشهابا
وبعد : فقام على سماء البيت تورا عفيفي جمال حكمة والتقا

ومن هنا بدأ الشيخ عفيف قصيدته بقوله :

نسام بأقصا الأعلى شهابا وأشرق وأملا الدنيا شبابا

هذا بجانب شوقي شعر عجيل مع أنه مأخوذ منه كما ترى ، وهنا الغفلة العجيبة من الشعراء تدل على انه شعور وأكثر . . .

شوقي يشبه وضع النبي صلى الله عليه وسلم من أمه الكريمة بأفصال الشهاب من السماء والشهاب هو الشعلة النجمية العارضة في الجو متقطعة فهي منفصلة منيرة ساطعة ماضية قوية وهية فالتشبيه محكم منطقي . ولكن عفيفي عكس الطبيعة وجعل الشهاب يصعد . . . وهو مستحيل إلا إذا كان شهاباً كالذي يطلق في الألعاب النارية !! وهذا مما نشهد منه النفس وجعله مطلع تهته سمو الأمير بما يزيد في فظافته .

ثم غفلة أخرى أقبح من هذه فإن الشهاب النجمي لا يكون إلا في ظلام كما هو طبيعي وذلك يدع في بيت شوقي لأن العرب كانوا في ظلام الجاهلية فولد النبي صلى الله عليه وسلم تورا وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور ولهذا الآية ذكر الشعراء

الشهاب إلا ذكروا الظلمة كقول البحري: وأضاء في ظلم الخطوب شهاب . وقول الرضي:
 لك الحميم التي عرف الأعدى تشب بكل مظلمة شهابا
 وقوله: يبيت وثوب الدجى شاحب طموح المعالم (سامي الشهاب)
 ومن (سامي الشهاب) سرق عفيفي قوله (تسام شهابا) وهي غفلة نائمة لأن
 الشهاب في موضعه من السماء يعتبر عالياً ففيه صفة العلو والسمو وهو ثابت على كل
 حال إلى أن ينقض . أما (التسامي) فكلمة تشعر بالتحرك صعوداً وذلك محال في
 الشهاب كما مر . ففي كلمة الشرور ثلاثة عيوب: سرقة وخطأ وإحالة وإذا كانت
 الشهاب لا يكون ولا يتصور ولا يذكر إلا مع الظلام فلا تجد ذوقاً أشد فساداً من
 ذوق هذا الشرور

في القصيدة التي انتقدناها في السفود الثاني كان المطلع (نوح الحمام) وهي تهته في
 عيد ميلاد . وفي قصيدة تهته عيد الاضحى التي انتقدناها في السفود الثالث كان في
 أولها كفر ، وفي قصيدة نائمة (عفونا عنها) ولم تنتقدنا ليتوب عن الشر وهي تهته أولها
 دارة الملك اسلمى ثم اسلمى

كان هذا المطلع قد ذكر آقوي في الرمة:

إلا يا اسلمى يا دار مني (على البيت)

وفي هذه القصيدة الأخيرة المطلع ظلام بدليل ذكر الشهاب إذ لا يتصور هذا
 إلا في ذلك . أما في الشعر إلا السرقة والغفلة وفساد الترويق ؟
 ويقول شوقي بعد البيتين:

وحضاعت يثرب الفيحاء مسكاً وفاح القاع أرجاء وطايا
 وهو كلام فقط ولا قيمة له فقلده عفيفي وقال بعد المطلع:
 حليل الدوحة الزهراء عمت بك الأرجاء حسناً وارتغاباً

فشوقي جعل الأرجاء تفوح مسكاً والشرور جعل الأرجاء تعم حسناً وتعم
 (كمان) ارتغاباً . ارتغاباً يعني أبع ؟ يقول القاموس ارتعب في الشيء كرهبه أرادته
 فاذن عمت الأرجاء حسناً وأرادته . . . وإذا كان الحسن يشبه بالنور فيصح لذلك أن
 يعم الأرجاء أي الامكنة فبأي شيء تشبه الإرادة حتى تعم الامكنة وهي لا تعم إلا الناس
 بخلاف النور فهو عملاً الامكنة لا الناس ؟

نعم أن الخطط جائرة وبابه واسع جداً حتى قالوا سمك لبن تمر هندي . . ففعل هذا
 فليقول بيت الشيخ رضى الله عنه . ولا معنى لوصف الدوحة بالزهراء والدوحة في

الأصل الشجرة العظيمة شبت بها الأسرة الكبيرة في عظمها وتفرعها وخروجها
بأكملها من جذع واحد هو الجذ الأعلى وقد جاءت هذه التسمية في كلام المتأخرين
من أنهم يرسمون نسب الأسرة في صورة شجرة يسمونها شجرة النسب . والزهر
المرأة المشرقة الوجه وهذه المادة على كل حال لا تستعمل إلا في البياض واشراقه
وتلاؤه فيقال القصر الأزهر وامرأة زهراء وسحابة زهراء وهكذا . ولكن الشعراء
كما قلنا وجل الفاظ من هندسة طوية على طوية فإن بحثت في كلامه عن دقة أو فكر
أو فن فأنما تبحث عن عيوبه لأن محاسنه . . .
ثم يقول :

يحمل عبدك الوطن الممدى ويرعى النجد والكرم اللبابا

أعر مواسم الدنيا عليها وأسعدنا وأحمدنا عاتيا

لهذا الشعراء طريقة في المبالغة المقتونة ناشئة من طريقتهم في ركن الالفاظ بلا فكر
ولا تميز ولا فن لأن المبالغة السقيمة صورة من ضرور السكر وذهوله وكونه لا يجد
ما ينظمه ولا ما يحكمه أعني أنه لا يجد المادة التي يخلق منها ما يجد في أدمة البقريين
والنوايح . وحيفت بشرة مع الالفاظ ولا يجد عاتيا من أن يحمل لك النملة فيلا هديا
بنابن ا اوعلى ظهره هودج عظيم فيه مهر اجاب اسمه مهر اجاب عالي ديوان محرو . . .
نعم أن عيد ميلاد صاحب السمو الامير فاروق حرسه الله يوم من أكرم أيام
التاريخ على التاريخ وفيه جمال الحاضر وأمل المستقبل وفيه أمة قائمة تنظر من وراء
الغيب الى أمة آتية . ولكن جعل هذا العيد ، أعر مواسم الدنيا عليها ، أمر يخرج
من المبالغة الى سوء الأدب السياسي مع مثوك الأرض العظيمة ويضيف الى ذلك فساد
الفرق اذا ذكرت أعياد جلالة مولانا الملك . والشاعر اذا مدح الملوك وجب أن يكون
له مع خيال الشاعر في معانيه دقة السياسي في الفاظه وحكمة الحكيم في أساليبه ومن
أجل ذلك كان هذا النوع من المدح أصعب مافي الشعر بكل ضروريه وانواعه وكان
الملك الذي يوفق الى شاعر حقيقي يجمع البلاغة والخيال والحكمة والسياسة والشهرة
الطاهرة والاعجاب العام — انما يوفق الى كثر عظيم بل الى تاج آخر آمن من تاج
الملك لأن تاج الملك عمر محدود أما التاج الذي يصرفه هذا الشاعر فهو تاج التاريخ
الذي لا عمر له . وكان اسم المتنبي مقرونا في حياته باسم أمير سيف الدولة فلما صار
الى التاريخ انعكست الآية وعاد سيف الدولة يعيش باسم المتنبي . الامير جاد على
الشاعر بالمال والنعمة وذهب كل ذلك وبقى ولكن الشاعر جاد على الامير بالتاريخ
الباق الذي لا يذهب ولا يفتنى

ولما قتل ابن هاني شاعر المعز بأبي القحافة حزين المعز حزنا شديدا وقال : هذا
الذي كنا نريد أن نفاخر به ملوك المشرق فلم يقدر لنا . فعلى هذه الية السامية النبيلة
يتخذ الملوك شعراءهم ويحفظون بهم لا للشعر ولا للمدح ، كلا ، بل لانشاء التبرع العالي
في أدب الامة ومباهاة الامة به وتزيين تاريخ الملك بمادته التي هي وحدها جواهر
التاريخ وحلافة

وهل كان المعز معنوها يوم قال ابن هاني على اول قصيدة قدمها اليه بما قيمته من عملة
مصرية سبعة آلاف وخمسمائة جنيه انجليزي ؟ انها لية التاريخ وية الشعور السامي في
خدمة الامة بوضع وسام العقل النافع على صدر تاريخها نياها به الامة . اولاً ترى الناس
ينفقون مائة الف جنيه الى مئات في اثناء معمل ؟ على معمل اعظم واشرف من معمل
عظيم يمدح الادب العالي ويزيد به في مجد الامة ويضع فيه أجمل قطعة من تاريخها
ومن صعوبة مدح الملوك كان شوقي وهو شاعر طل نالضج يحمل نصف قصائده
غزلا ونسباً فيوفر نصف المشقة ومع هذا فإنه كان لا يجهد من المدح إلا أياتاً معدودة
لا تذكر مع المتنبى أو ابن هاني أو من في طبقتها . وإذا كان هذا في شوقي فكيف بالشعراء
عفيين ؟

الحق أن الشعر العربي من هذه الناحية يتناول نيا جديدة من أحيائه فليتظر . فليتظر
الى يوم القيامة . . .

ومن أسخف وأبرد مبالغات الشعراء في قصيدته قوله بمدح جلالة مولانا الملك
وبذكر الطيران ، طيران صدق وحسنين بك وهو موضوع جميل حساس لاشتغال
الامة به في هذه الايام :

أمينك أحمد حيث المطايا على الافلاك واستاق الركابا
سما يحاك عن حمل الروايا وعلف العيس والخيل العربا
ومطار على الحجرة مستشفأ يكشف عن دعائها لتفبا

هذه ثلاثة أيات وهي ثلاث قصائح تسقط الامة التي تقال فيها إسقاطا أدبيا إذا
كانت هذه الامة ترى أن مثل هذا شعر أو أدب . هل هناك مؤامرة ياترى على تشويه
السمعة الادبية لمصر واضمحالك ادباء العالم العربي منها ينشر مثل هذا الهديان بحروف
كبيرة مشكولة في صدر جريدة الاهرام . انى أقول في صراحة لجريدة الاهرام أن
هذا عقوق منها بهذه الامة التي حاطها ووثقت بها واقبلت عليها . ولدى نذكر
فضاعة الايات تصور انها ترجعت الى الانجليزية ونشرت في المجلدا والعريكا وقرأتها

تلك الشعوب واطلع عليها الطيار العظيم لتدريج فكيف يكون تأثير هذه المعاني
الماضية الخارجة باسم محمد الديوان الملكي ؟

أحمد حسين بك حث البهائم التي تتركب ١١١ وحشاً على أفلاك السماوات ١١١
وملاق الركاب ١١١

وفي حرك باجلالة الملك ، سها وترفع عن حمل قرب الماء ١١١ وكره الخيال والحيل
الاصيلة ١١١

وطار فوق المجرة باحثاً ليكتشف أسرارها ودخائلها التي لم يكتشفها أحد ١١١
بأنس أي هذيان هذا ؟ بالتدريج العمل معروفاً ولاتهم الامة المصرية المسكينة
فإن الامة بأجمعها تبصق على صناعة هذا الشعر ولا تراه إلا جهلاً محضاً وسخافة دونها
كل سخافة .

كيف يكون حسين في البيت الاول ، حث المطايا ، ، واستاق الركاب ، وفي
الثاني سها وترفع عنها ؟ ليس هناك إلا فأوبل واحد وهو تشييد الطائرة بالمطايا ١١١
بحار أوبل ١١١

، وطار على المجرة ، على المجرة ، ، على ، في البحر تحيد الاستعلاء ، بالطيف
بالطيف . كأن المجرة عند الشيخ عفيف عن الدور الخامس والسادس في عمارة ١١١
وطار عليها ، ليكشف عن دخائلها النجاب ، ١١١ أشير ياروتر في العالم حالاً حالاً
أن مصر أرسلت مكتشفاً إلى المجرة ليكشف أسرارها الأولية الأبدية وأن هذا
المكتشف هو أمين جلالة الملك .

لأننا واقع لا أتصور في الفضلة أفظم من هذا ، ولو أن هذا الاحتمال المبرور كان
يصدق رجلاً عادياً بهذا الجهل لكان مسيئاً إليه أفصح اساءة فكيف ؟ فكيف ؟ ماذا
قول ؟

إن كرة أرضنا هذه بما عليها لو أقيمت في الشمس لا احترقت وتلاشت في اثنين
على الأكثر (١) والمجرة سطح عظيم يحيط بالسماء بالغ عالياً يتصور من أهول والعظم

(١) ثالث من شؤم قصيدة الشعور على أحمد بك حسين وكان من
عاقبة تحديفه في هذا الشعر البارد بأن حسين بك ، طار على المجرة ليكشف النجاب
عن دخائلها ، ثم وعونه في التصريح بمدح جلالة الملك بأمر سابق لأوانه وجعله
ذلك فخراً مصرياً — كان من شؤم هذا كله أن سقطت طائرة حسين بك مرتين

تسبح فيه الوف من مثل شمسنا . فكيف باناس يطير عليها (يعني فوقها) احمد
 حسنين ؟ ثم حسنين هذا لا يطير فقط على المجرة للزهرة وشم الهواء ! بل ليكشف عن
 دخالها الغياب . دخالها وأسرارها وما في باطنها ، وليس لها في (خارطة) ...
 ألا يرى القراء أن الشعروور رجل الفاظ من رجال طوبه على طوبه لا غير ؟
 وقبل هذه الايات الباردة قال يصف الطيار صدقي وان لم يسمه وسمى حسنين بك
 مع أن الاول هو الاول وهو الفائز :

بحوك يمرح المصري زهواً ويعلموا النسر فيه والعقاب
 من فضلك بالتدريج لا تضحك علينا . فانا جميعا نبصق على صناعة هذا الشعر
 يا شميزاز كما قلنا لك . هل من الفخر للامة المصرية في هذا العصر الذي نطن فيه أن
 الطيارات ستكون سلاح الحروب المقبلة أن . يمرح طيارها في الجو زهواً !!! .
 وهل من الفخر للطيار أن يعلم على النسر والعقاب ... ؟ هل هي طيارة في خبط
 يا شيوخ عفيقي ؟ ألم يبلغك أن الطيارين ارتفعوا في الجو لأفوق النسر والعقاب
 والحدأة فقط بل فوق أربعين ألف قدم ؟
 ثم قال :

له من كوكبك منار صدق . يضئ له المحجة والصوابا
 وفسر (كوكبك) بقوله في الشرح : الاميرتان فائزة وفائقة . ومع اجلالنا
 لهذين الاسمين الكريمين الغاليين على الامة لم نفهم كيف أعضاء للطيار صدق . المحجة
 والصوابا . وقد سميت الطيارة بعد وصولها إلى مصر باسم الاميرة فائزة ومع ذلك
 لم يذكر اسم الاميرة في القصيدة ولا وصف صاحبها تبين الشعب بإطلاق هذا الاسم
 الخلو الميسون على أول طيارة مصرية . بلغت مصر . وقال يصف صدقي
 يداعب سائق الآفاق لخوا ويحبشها علوا وانصبابا

أصيب فيهما بهروح ولم ينج من الموت في السقطة الثانية إلا بأعجوبة . وأخيراً
 أرسل قلغرافا إلى المقامات العالية في مصر يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٣٠ يقول فيه :
 تحطمت طيارتي سوء الحظ بلازمي ، وقصيدة الشعروور نشرت في يوم ١١ فبراير فلا
 حسنين بك ، طار على المجرة ، ولا طار على الأرض . وهذا وحده يجعل قصيدة
 الشعروور في غاية السقوط لو لم تكن ساقطة من نفسها فكيف وهي كلها عبر ؟

لا يزال الشيخ يظن الطيران ، للداعية واللهم ، وما دامت قد ذكرت الداعية فلا مانع من ذكر (الجش) وما هو الجش أو التجيش ؟ هو مغازلة المرأة وملاعبتها وقرصها .. في أما كن من جسمها . بل هذه المادة باعتبار أصل اشتقاقها في منتهى الفطاعة وذكرها في القصيدة غاية الغايات في قلة الأدب وما على من شاء إلا أن يرجع الى قاموس الفيروز آبادي في مادة جش فيجد هناك : ورجل يجاش متعرض للنساء كأنه يطلب ..

فالذا قيل أن الجش في بيت الشعور هو ، لاسم الآفاق . . قلنا أن المعنى الأصلي لا يزال باقياً حاضراً للذهن من يعرف المادة وأصل اشتقاقها ثم نقل الجش من المرأة للنساء صناعة لفظية في غاية السخف ليس فيها إلا طوية على طوية وهو أسلوب هذا الشعور

وما مدح به جلالة مولانا الملك في هذه القصيدة :

أصبح الله أنجلى الأولي وأخجلت المناهل والبحاب
إذا انقشبت غبوت الخمر يوماً فمن كفيك تسكب أنساباً
عددت ما أثرنا لك الخانات فلم أتم واقعت الحساب

جلالة الملك أحق الناس بالمدح وبما قيل في مدح جلالاته فهو قليل باعتبار الواجب له وفي يقينا أن عرش مصر لم يتوله الى الآن مثله ، ولكننا ننظر في صناعة الأبيات قري صاحبها مفرها بالتجشيس فيقول (أنجلى وأخجلت) وهذا لا بأس به ولكن في رأيه جلالة الملك أخجل ماذا ؟ أخجل المناهل أي الأماكن التي يستغنى منها الناس الماء وأخجل السحاب ..

نقهم أن الشاعر العربي الذي ينشأ في الرمل والفقر والجذب يجد المناهل أفضل ما يشبه به الكريم الذي يعود عليه ولكن الآس في كل بيت في مصر حتى بيوت الفقراء منيل من ، الحنفيات ، يصب الماء نهاراً وليلاً فضلاً عن الله ورحمة وله الحمد والمنة

ثم المبالغة في أخجال السحاب تدل على صناعة ركيكة جداً فهذا المعنى مفروغ منه قد تساوله كل شاعر والمبدع من يدع فيه شيئاً جديداً لا من يأتي به على هذه الطريقة الصياغة الباردة . انظر كيف صنع البحري فيه يمدح الفتح بن خاقان .

وأكبر أن أشبه جود فتح بصوب غمامة أو سيل وادي
حكرم لا يزال له عطاء يقير سنة السنة الجهاد

لم يقل البحرى وسحاباه فأصنع الشعرو فان من السحاب مالا يعطر ولا يعطى شيئا ومنه ما يذهب الصواعق بل قال وسحب غمامة، ليكون الجود واقعا ومع هذا الاحتراص الدقيق قال أنه يكرر المدح عن هذا التشبيه وأكبره في وقت معاً. ثم مع كل هذا أتم المعنى في البيت الثانى وجعل المدح كأنه قانون طبيعى يهذب الطبيعة ويغير بعض قوانينها .

وفى موضع آخر من شعره يمدح بالله « مرجو لما ألغيت دونه » فلم يقل السحاب بل ألغيت وهو المطر نفسه ثم عبر هذا التعبير الجميل ليصنع شيئا يأتينا فى المعنى الذى ابتدأه الجميع .

ويقول فى مدح المهتدى .

غدا المهتدى بالله وألغيت ملحق بأخلاقه أو داخل فى عدادها
تبارك مانح هذا الذوق ويسر هذا اليأس وكلمة « أو » فى هذا البيت هى وحدها شعر مطرب وانظر كيف صنع ابن داني المدح .

ليس الصباح « سحاب مفرأ » وسقط ثباته السحاب سحابا
وقال السرى : له فى كل أئمة سحاب تسع وكل جارية سحاب
وأما « أخطت الماهل والسحاب » فهذا كلام عجزيل سافط . ولو قال أخطت بحيرة فكثرتا ثباتا وأخطت الليل من منبجه الى مصبه لكأت نقطة (أخطت) وحدها كافية لتبيين المعنى .

وقول السرى « له فى كل أئمة سحاب » هو الذى سرق منه الشعراء المتأخرون كإبن معنوق وغديره بالفتحهم السمجة فى جعل يدى المدح « عشرة » مبرر ...
فيكون إيهام يده اليسرى أمريكا ويختصر الثمى أوربا وحضرته الخطط الاطالانطيقى
وقول الشعرو : عذبت ما آثرا لك خالجات فلم أتم وأنفدت الحسابا

قول بارد أخف منه والله قشعريرة الحى وأدفا منه شهر طوبه والطفه جوا منه
شهر أمشير ١١١٠ و « لم أتم » بالطفه « وأنفدت الحساب » يابى . إذلت يابى
شعرو حضرتك لا تعرف الحساب ولا تعرف أنه لا ينهى ولا ينقد مطلقا لأنك إذا
عذبت إلى ديشليون أمكنك أن ترجع فتعد من واحد ديشليون إلى ديشليون
ديشليون ثم تعود بعد ذلك فتعد على هذا التوالى . وعلى كل حال فالك شعور وأنت
تعد ولا ينقد الحساب مهما بلغ عورك

وجلاله الملك لا ينضم شيئا تغيبه هذا المبالغة فى مدحه وعندما أثر بالخالصة والمخلصون

لجلاله لا يرون هذا الكلام الاسوء ادب قد بلغ الغاية ولا يليق مطلقا ان يخاطب به جلالة.
والمؤمنون بالله يرون هذا القول ان لم يكن حراما فهو على الاقل مكروه كراهة تحريم
لان الشعور اخذ المعنى من القرآن الكريم واساس استعماله ووضعه موضع كذب صرف
يقول الله تعالى : « ولو أن مائى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده
سبعة انهار ما نفدت كلمات الله »

لا تغفل الكتابة فلن ينفد الحساب لان الامر ازل الى ابدى . ومع ذلك قال الشعور
الغبي ، أنفدت الحساب ، وزادها ساجدة فقال : لم أقم ، وبلغ منتهى الاساءة حين
جعل هذا فى عدم ما تثر جلالة مولانا الملك .

أنا اعطن بكل صراحة وبالصراحة كلها أنه يجب إسكات هذا الشيخ عن المدح
الملكي مادام موظفا في الديوان العالي لان المفروض والمفهوم ان هذا الحراء كله سائق عند
رجال هذا الديوان وانهم يرونه أدبا وشعرا ولو لم يكن ذلك لأنكره على صاحبه وانكره
عن التماذى فيه لان اسكاته عن ذلك مما توجه خدمة جلالة الملك وما يوجه حق
الامة على رجال الديوان ، وإلا يكن شعرا ومدح فذلك أضل الب مرة من أن
يكون على هذه الصورة التي والتي والتي . . .

كل بيت في هذه القصيدة له مدح وثناء والمدح الذي فيها سوق بارد في غاية السجاجة
كقوله لسوء الأمير .

هنا للعلى مفداك فيها وفتحك طرقها بابا فيها

وان كانت طرق العلى فان جعل الأمير قانع طرق ، ذوق غريب ، والطرق
لا تفتح بابا فيها الا اذا كانت مثل الطرق التي تنهى بوابة الثور وباب زويل فوهكذا
على أن المعنى من قول الشاعر المعروف بالغزى :

ألم تركم لأحمد من خلال فتحن الى طريق المجد بابا

وهذا هو الكلام المستقيم لان الانسان لا يفتح الباب فيخرج منه الى الطريق أما
انه يفتح الطريق بابا فهذا على وزن - يعنى البيت خرابا -

ويقول لسوء الأمير :

كسوت الدفتر المسطور نفرا وأغليت البراعة والكتابا

الذي (يكسو) الدفتر إنما يغطه كما يفعل التلاميذ بالكلمة هنا باردة جدا جدا
وان كان غلاف الدفتر نفرا ، وما ظن ان جلالة الملك يرضى ان يمدح سمو الأمير بأنه
بأشغاله بالمدرس أعلى شرف العلم وشرف الكتب ، وتبين قطاعة هذا المعنى وأنه

من المعاني السوفية التي يخاطب بها الامراء نقول هب اميرا من الامراء لم يدرس ولم يتعلم ، فهل يكون هذا الامير لم يشرف العلم ولم يعمل قدر الكتاب ام ان العلم لم يشرفه والكتاب لم يعمل قدره ؟

ويقول : لديك الدهر فانظمه عضودا مفصلة وطرزه نسابا وان كان التطريز في الدهر فهو على كل حال « تطريز ثياب » . عبارة سوقية صحيحة ، وفي هذا البيت معنى لا تعرض له وعلى الذين يقرؤون أن يبحثوا

ويقول : سما بسناك « عبيد » المعلى وعضاء مشارقا وعلا قبايا
أهل متابت الاقيال فرسا وامنعها حمى وأعر غايا
زكت نيمانه وزكا جناها وطلبت في ارومتها وطايا
وخلاصة هذه الآيات بعد حذف الحشو قول ابى نواس :

صنائع فاق صانعها ففانت وغرس طاب غارسه فطايا
وليت مهندسا من المهندسين يفهمنا كيف « علت قباب عابدين » ؟ نعم أنه بسنا
الامير يضيء ، بل القطر كله يضيء بسنا الامير ولكن « علا قبايا » أمر يحتاج فهمه
للجنة مهندسين ١١ والجواز في المعاني المقصورة غيره في الاجسام الجامعة المحسوسة
المنظورة .
ويقول :

حلاك ابوك وضاح السجايا وثيق المجد كسبا واثسابا
وضاح السجايا كلمة عامية لان معناها الظهور فهل كان يمكن في سجايا الامير
غير ذلك ؟ ولا ندري كيف يمكن أن يفهم أن سمو الامير « جلاه » والله العظيم
وثيق المجد كسبا ؟ الحقيقة ان هذا البيت تصرف ضعيف في قول الغزى :
ففى ملك العلى أصلا وفرعا وأحرزها نرائنا واكتسابا
وقال بعد ذلك البيت :

تضيء سماحة وتطيب نبلا فتخفى النجم ١١ والمسك الرضابا
ومع ركاكة هذا الكلام وأنه لا يجوز أن يقال لأمير عظيم « تطيب نبلا » لانه
هو كذلك بالطبيعة ففيه غلظة لأن الشعور أراد أن يلف وينشر فجعل سمو الامير
ياضائه « سماحة » مخفى النجم ويطيبه نبلا يخفى رائحة المسك ثم قال المسك الرضاب
وهنا الغلظة لانه يقال رضاب المسك أى قطعه الصغيرة فرضاب لا بد ان تكون مضافة
للمسك والشيوخ جعلها هنا صفة للمسك فصار هذا كقولك مثلا رأيت الشجرة الغصون

وإنت تريد غصون الشجرة . ثم يقول بعد البيتين :

ومن بك ذا أب كأيك عدد إلى العلاء أسبابا قرأها

أذن لم يمدح سمو الأمير بشئ - لأن كل من يكون ذا أب كأيه فهو مثله ، هذا هو معنى البيت ظاهر كل الظهور فهو بغير الممدح أشبه .

أظن نفوس القراء قد اقبلت من قرف ، هذا الشعر فيجب علينا أن نروهم بشعر كنسيم الجنة من قول البحري في ولي عهد المعتز بالله :

عليه من المعتز بالله هجعة أعضاء فلو يرى بها الركب لا تهدي

إذا أعجبتك اليوم منه خليقة مبدية أعطاك أمثالها غدا

مطلوب لأقصى الأمر غاية جهده إذا قلت يوما قد تنهى تزيذا

بقيت ترجيسه وحاش مؤملا براعي اتصالا من حوائك سرعدا

أرايت كيف يصور نور الفضايل والخلائق يوحا بعد يوم بسمو العصر ، وكيف يدعو

الشاعر للأمير ولأبيه الخليفة ؟ فقرأ الآن كيف دعا الشعراء في ختام قصيدته :

أبا الفاروق عشت وعاشي يدرأ خير لأبيك ، السبل الصعابا ، ١١١

ولنسكت هنا فالسكوت عن شرح هذا البيت ذا قبل في المثل التي حفظناه في

المدارس : الصمت زين والسكوت سلامة .

(حاشية) قبل لنا أن الشعرور ابن عفيفي يباهي بقصيدته الأخيرة وروى

لنا سجعز عن قدها - مسكين الشيخ عبد الله عفيفي فليفتعل حضرته وليقرأ

ليعلم أن قصيدته هذه أسخف من كل ما تقدم - ومسكين أيضا لأنه مظلوم يعرف أنه

لا يذكر ولا يطلع وليس فيه موهبة من مواهب العبقر بين ومع ذلك يدفعه (البعض)

لعمل هذه القصائد ويغريه بالوعود - ومسكين مرة ثالثة لأنه لا يعرف أن هذا

(البعض) يقصد من وراء ذلك - كما يقال - أن يؤثر على منزلة أديب كبير

راسخ في علم الأدب

ومسكين ابن عفيفي مرة رابعة لأننا عزمنا أن نجعله موضوع الجزء الثاني من

السفر ونطلع عنه هذا الجزء تسجيلا لحاقه التي اندفع فيها جامعا لنفسه مظهر أدبر حتى

باتسابه للديوان العال الملكي ونشره قصائده السخيفة بهذه الصفة فليتحفا حضرته

تخصيدتين أو ثلاث قصائد جديدة وله الشكرا

سِطاه بنتشور

— — — — —

(الحادثة الثانية عشرة)

قال المحدث خرجت في أصل الغد إلى الفسطاط في الحلة التي قضاه الشيخ
 لي واختارها ، وأنا لا أعرف العجوز ولا دارها ، ولا أدري كيف أملك
 مزارها ، أو أجد من يحدثني أخبارها ؛ وانكر على الأستاذ هذه التسمية ،
 وأخذله على أخباره التمت على التسمية ، فجعلت أمشي قائما في هذا البلد ، غريبا
 في ثيابي ، تزدحم شفاه العامة على بدني بالتقبيل ، ويتحنى الخواص حيث أسير ،
 وأنا أغبط في نفسي رؤساء الديانات بهذه المكانة في النفوس ، وأحسد لهم على هذه
 المنزلة في القلوب ، وأنظر سلطان الرغبة كيف يعمل على سلطان الرهبة ، وأري
 الملك الكبير ، لما لك السرير ، وقدر أقتى ~~والله~~ حتى أني لم أر غريبا ظهر لقومه أو
 للمسلمين من أهل البلد في مظهر رئيس ووحى أو مسيطر غربي ، وفي الفسطاط
 كثير من صحابة النبي الذين يتعلم الذين في بداية منهم ، وتؤخذ أصوله على حقيقتها
 عنهم ، بل وجدتهم كدثر العرب في مصر جنود الخلافة ، وأنصار الأمانة ،
 وأحرار الحكومة الإسلامية ، يمزون الإسلام آوثة بالجهاد ، وآوثة بحسن
 السيرة في العباد ، لا يتسمون الكرامة ، في تكبير العامة ، ولا يؤمن أحدهم
 بولاية ، وهم مصايح الهداية ، وعلى عهدهم ظهرت الآية . دائبون في خدمة
 الدين لا يألونها صبرا يغتربون من أجله ، ويقاطعون الدنيا في وصله ، ويعلقون
 بعض الأبدى وكرائم الصنائع في أعناق الأمم من يأتي بعدهم ، قدم في الشام ،
 وأخرى في العراق ، ولو أني سمع النبل خفاق ؛ ويدل بالامر في الروم انطلاق
 وحكومة تنظم سائر الافاق ، وهكذا العلماء لا يخفى عنهم عليهم ، ولا تثبت لهم
 هذه الصنعة العالية في نظر الجماعة حتى يجمعوا بين المدارك ، الطعم ، وتقاد
 بأزمته الحياة العملية في الأمم . يرشدون الناس بالعلم مرة وبالعقل مرارا ،
 ويعرفونهم كيف يخطب الدنيا بالعقل ، وتركب الحياة إلى الحياة السهل ، وتزود
 النفوس من الجهد والفضل

للعلم أهل ليس يألونه أخذاً ورداً في شؤون العباد
 لهم مراد لا يسألونه حتى ينالوا غايي الاجتهاد
 العلم في أنواعه كلها والعمل للوصول فيها أفاد
 في خلفاء الله من قبل ما ينبئك ان العلم للخلق هاد
 كانت تفيض الارض من علمهم في الحكم وفي الوعظ وفي الجهاد

غالبه أصبح بحمله من لا يذله ، وصار يدعيه من ليس يعيه ، وماللسلين
 مختلفين فيه ، فريق يرى النافع الواقع منه ما كان مقصودا على الشريعة ومنحصر
 في فقهاء مردودا الى المذاهب الاربعة فيها ، والتقى النقي من هذه الفئة من عادي
 لغات الغربيين وهي التي ينهى بها فينا معاشر الشرقيين ويؤمر ، واحتقر علومهم
 وفنونهم وهي التي تفاضل بها فنفضل ونقاوم بها فنخذل ، وتقتلنا كل يوم
 بالقتال : وفريق يهجرون علوم الدين وآداب اللغة العربية الى لغات لم تجربها
 الفاظ آبلتهم ، وآداب لم تقم عليها حياة أجدادهم ، ولم تؤلف بعد في بلادهم
 وان أمة لا تجمع على لغة ولا ترجع الى جامعة من الآداب القومية ، ولا رابطة من
 الاخلاق المليية ، ليست على شيء من الحياة وان جمعت فيها معاني الفضائل .

أرى جوامع الشعوب أربعا أمرهم بدونها أن يجمعوا
 الدين في آدابه ، متبعا ، والجنس لاحبا ولا مضيعا
 والعلم يهديك الى ما نفعنا ولغة يفهمها من سمعها

تكون في الغالب والعلم معا

قال الخديعة ، وما زلت في تنقل واستقرار ، وتجول واستجلا ، ومشي على
 قاق وعناء ، حتى أعيت بضالتي طلبا وسعيا ، فصحت لانشدت تلك العجوز
 ولو أنها الدنيا ، وذلك مروت يد على كني فأنفت فرأيت التمر بعشر عذر
 البرى ، وسمعت يقول نعم هي الدنيا وأنت في الطلب ، وسراها وتسع حديثها
 عن كذب ، فقصيت من مقالته العجب ، وقلت اذا أغفر لك إهلك ، ولا
 استنكر استهزأك ، ومن لي أن أجمع بفاتنة الانام ، انى مارؤيت الا في
 الاوهام ، ولا تمثلت الا في الاحلام . قال وهذه دارها وأشار الى خرابة على الطريق

من بقايا الرومان . قلت وما يلجئها الى هذه الانعزال والاستتار ، ولو شاءت
لسكنت الاسماع والابصار . قال ليس لها الامانة ترد ، وشيعتها أن لا تسترد
النعم ، حتى تحوّلها الى تقم . تعطي القصور عالية ، وتأخذها أطلالا بالية . قلت
ونحن نتقدم اليها الآن يا مولاي . قال ادخل عليها هذا الاثر ، واناعلي الاثر .
وتدل عليها في الخطاب ، ولا تخشها انها في سجن ابن الخطاب .

قال الهدوء فتقدمت وحدى حتى جئت باباً صغيراً ، فلم أطرقه بل عاجلته ،
فانفتح من نفسه . فاذا أنا لدى عجوز أكل الدهر لحماً ، وادق عظمها وجمع
فالقوس جسمها ، وشيب كل شعرة في بدنّها ، حتى شعرات في أذنّها . وهي تنوء
بسلاسل الحديد وترزح في أسر شديد . فضحكت من منظرها وباداتها بالخطاب
فقلت أيتها الامة المضطهدة ، والعجوز المقيدة ، كيف حالك . وعمر قد انتقم
منك للزم ، ونهى عليك بعد النبي . وأمر . **لئن حبسك** . فمالنا حبست رزق
لرجل الفاضل . وقيدتم نفس آخر العاقل ، وملكك النقص رزق الكامل .
فاستضحكت العجوز ثم قالت ، من هذا الذي شمت بحجة الناس ، وأم الكل
في الاجناس ، الا اثنى ابن الخطاب صاحب هذا الامر ، وابن عبدالعزیز عذر
بني أمية ، لو قام لهم عذر . قلت ولاناس الامن ذلوت ، ولاناس الامن محبت .
قالت ولا يفرنك أيتها الفتى أن الذل شعاري ، واني عاجزة عن فك أسارى ،
فوالذي سلط . على عبادته ليلوهم أيهم أصدق عزما ، وأجمل صبرا ، وأقصد اليه
سراً وجهرأ ، ساملك عمرا لا الظواهر ، ولي التسلط على السرائر ، والسيطرة
على الضمائر .

وليس هذا الذي ترى في ملك ابن الخطاب من زهد في ، وتجن على ، وأساءة
الى ، الاغاية وتنقضي ، وحال من أكره لامن رضى . عمال في مداراة الخليفة ،
يوجسون منه خيفة ، ورجال يلبسون لكل دولة لباسها ، يأخذون نعيمها ،
ويشرون بوسها ، زهاد في دولة الزاهد ، شياطين في زمان الفاسد .

وبينا نحن في الكلام دخل النسر فوقف بين المهابة للعجوز ، والا كبار
ثم خاطبها فقال :

أيتها الحاكمة في البشر ، من غير منهم ومن حضر ، والآتي منهم المنتظر ،

مالتيت من عمر ، في ظلمات هذا الامر ، حالت أضيق الامر ، وأعظم الاسر ،
 فانها حال تحول ، ونازلة عاتية بزول . ثم افك في هذه الامة فسكا ، وأصير
 هذا الامر تقتل عليه القيائل ، وتلاعن من أجله البطون ، وتفتاني في طلبه
 الشعوب ، ولازال كذلك حتى أشق مرة أخرى فز من ابن عبد العزيز ، ثم
 يخلو الجو الى الابد ، واحكم في المسلمين على الابد . قال بحق عمر عليك الا
 وصفتي الاربعة الخلفاء قالت

أما أبو بكر فاخذني كاتوخذ الاماء ، وخرج مني خروج الانبياء ، ضرب
 على يدي أن أفسد هذا الامر حين الفرصة سانحة ، والصفقة رابحة ، والامة
 جامعة ، الى الفتنة جاثمة .

وأما هذا الذي اعذب في أسره ، وأبوا المر من معاملته ، فاشدهم اعراضا عني ،
 وأكثرهم فرارا مني ، لم يرضني أمة تشري ، ولا قبل في طريقا الى الاخرى ،
 ولازال حتى يخرج مني خروج الانبياء .

وأما ابن عفان فاتقرب اليه بقرابته ، وأمهدة الفتنة تمهيدا في خلافته ، ولازال
 به أثاره أنا ودينه ، حتى أزل عنه الى على أزهد الناس في ، وأكثرهم لسانا الى ،
 فيضضني في كله ، ويقبحني في حكمه ، ولا يرضني في نفسه ، قسما ، ولا لغير غنا ،
 بنافس في معاوية ونفسه عن رغبة سالية ، ولا يزال يجعل همه في جمع أمر الامة
 وحفظ أمر المسلمين في بيت النبوة ، وأثار و غ بالفوس منه ، وأحيد بالقلوب
 عنه ، حتى يخرج مني وليس في يده مني هباء ، كما خرج من قبل الانبياء . قال النسر
 فكيف انت بمعاوية

قالت فظن داهية ، مختلف في السر والعلاية . لا يزال يهجرني الى الدين ،
 ويهجر الدين الى ، وهوفي خلعة نفسه احرص الناس على ، يتسم من نعيم نفسه
 وتجريته من بعده ، ويتخذ الآخرة طريقا لي ، وكنت طريق السفساليا ، حتى
 اجتمع له ولأله واعوانه ، ثم أزل عنه وقد استرقني بني أمية يصيدوني في خيرا
 كثيرا ، ويوارثوني ملكاني الارض كثيرا .

قال وأنت ظالم الملك حيث كان كنت ، وابن سكن سكنت . قالت اذ الملك
 والملك أنا ، وما من مني في الارض من آذني بشامل عدله وسامني بحسن سيرته ،

الازلت عنه على عرسه ، أوقاطعت ذر بته من بعده . وهذا هو السر في كون
الملوك الصالحين العادلين في التاريخ لم تستقم لاكثرهم الحال في أواخر حكمهم ،
ولم يتم من عقبهم من أحسن السلوك ، أو سار سيرة نليق بالملوك .

(قال الهدهد) ثم انفت النسر الى وقال : دونك أيها الهدهد هذه الصحيفة
الناطقة ، وهذا التاريخ المتكلم . فسل ماشئت : واستفسر عما شئت من فائدة
تستجليها ، أو حكمة تأخذها . فاستقبلت الهدهد ز وأنا أعجب من حفاوة الأستاذ
بها ، واستغرب من هذه المبالغة في خطاياها . ثم قلت صفها أيتها الدنيا عن
هفوتي ، وانسى لي جفوتي ، وخبريني أي اناس أحب اليك ، وأبهم أبغض عليك .
قالت أحب الناس الى أبغضهم على الله ، وأبغض الناس الى أحبهم الى الله
قلت ومن أبغضهم الى الله ، ومن أحبهم اليه . قالت أبغضهم الى الله العالم المفتون
وذو الصنع المصنون ، ومؤتمن يغترون وأحبهم اليه العامل عن علم ، المتواضع
في رفعة ، العاقب على مقدرة الانا كالموت ، المستعد له . فهذا الذي يرجى لعظيم
الاعمال في الدنيا ولصالحها في الآخرة .

قلت عظمي أيها العجوز . قالت خلقت أضل ولا أدل ، وأفسد ولا أرشد
وما مثلي الا قاتار تهدي الناظر من بعد آليها ، وتحرق المشافت عليها . قلت أي
الأمم بك أعلم ، وأي الحكماء في وصفك أحكم ؟

قالت الامة التي جاء في كتابها المنزل بلسانها في جملة وصفي (إنما الحياة
الدنيا لعب ولهو) والتي يقول في شاعرها : —

وما الناس الا هالك وأبن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت له عن عدو في ثياب صدق
قلت عرفيني بعض صفاتك ، وصفي لي شيئا من آفاتك . قالت : أنا المانحة
المانعة ، الة اصلة القاطعة ، أقبل لاشاملة ، ولا كاملة ، وادبر لامندرة ولا معذرة
صفوى عند كدرى ، وكدرى عند صفوى ، أو نس الملك فيشقى ، وامنى
السوقة فقرضى . وآنى الأمن المظمتن من حيث لا يتقى ، وأصيب اللاهى الناعم
فما يؤنسه في خاصة نفسه ، لا ما يظهر للناس من أنسه . السنة الناس في سبي ،
وقلوبهم مملوءة من حبي ، يغالط بعضهم في بعضا ، وما أضمر أحدهم لي كراهة
ولا بغضا . من زلت عنه استفاد ، ومن اتسع منى استزاد . ولا حي الاله في مراد

العقل من أخذني أخذاً ، ونيدني نبذاً ، ولم يقف في طريقي بين التمتع والجهاد .
 فمن أخذني في المراد العزيز ، والجهاد الكثير . ومن نيدني في الاعتقاد المستقر
 والسلوان المستمر ، لا يرغب مع الآخرة في ثمين ، ولا يؤثر عليها المآل البين
 ومتى كان كذلك فله لا للشي أن يقول : —

كذا أنا يادنيا اذا شئت فاذهبي ويا نفس زبدي في كراهتها قدماً
 قال الهدهد وكنت أصوب النظر في العجوز وأصعده ، فأراها تلبس حالا
 عن حال ، وتصير من غايات القبح الى نهاية الجمال . ثم نهضت من السلاسل
 والإغلال ، وتمثلت لي وللنسر عادة كالمثال ، فلما رآها الأستاذ دق يداً بيد
 وقال : قضى الامر وقتل عمر واستقبل العرب الدنيا واقتلوا على الملك ، وجاءتهم
 الفتنة من كل مكان . قالت كذلك هم منذ الآن . ولا أزال حتى أجمعهم على
 سب بيت منه خرجوا ، وفي ظله دبروا درجوا . وبه ظهر غيرهم ، وعليه بنى
 ملكهم ، ثم لا أزال حتى يحكم فيهم من جدي بالقرآن ، ثم لا أزال حتى يعلم
 الحمل من العجم على أمرهم ، ويسلبوهم ما بأيديهم . ثم لا أزال حتى يتفرقوا
 في البلاد ثم لا أزال حتى يمسوا كأن لم يكونوا شيئاً مذكورياً ويبقى قرآنهم
 ولسانهم خالدين على الأبد ، منشورين الى الأبد .

قال الهدهد ثم انطلقت الدنيا من أسرها وتركنا نقضي العجب . من
 أمرها ، فالتفت النسر الى وقال : لا خير في هذا الامر بعد عمر ، ولا مقام لنا
 في ملك هذا الذي يموت عن عبيد وأماء ، وضيايح وثرأ ، وأثاث وكساء ، بعد
 ما ظلم أبا الزهراء . وأثر على الخلافة الخلفاء ، وأراق مائداً من دماء . ثم التفت
 المعنونة ، والدنيا مدبرة ، وطلب المغفرة ، حال الغرغرة قلت ومن تعنى بأموري
 قال ابن العاص . قلت ذلك الذي أيل بالامس في الجهاد ، وجلس للحكم بين
 الناس مجلس الزهاد ؟ قال ثأت نفسه بالدنيا مغولة الى حين ، ثم فككت بموت
 أمير المؤمنين ، وتتاب النسر عند ذلك تخشيت أن تكون هذه النومة الكبرى
 وأن لا أراه مرة أخرى فسأله عن الملتقى فقال بمصر بين الجزيرة والجسر
 فسررت بالموعد وبشرت نفسي بأصال مستعادة أفضيها مع النسر في استقرار
 واستفادة .

تقرير عن النهضة الفنية

مقدم من الجمعية المصرية للفنانين المصريين الى
البرلمان والحكومة والقائمين بأمر الفنون الجميلة

من عام مضى زار مصر قنان ايطالى ذائع الصيت هو الرسام (ج . جارسيا)
واذ صادف قدومه موسم المعارض الفنية أراد أن يستطلع فيها مبلغ استعداد
المصريين للنهوض ثم كان له حديث بعد ذلك نشر في صحيفة كبرى نود لطلاوته أن
فأخضه وأن تستهل به هذا التقرير قال (ان العالم الآن يكاد يتطرق في العناية بالفن
والفنانين بعد إذ أدرك أن الفنون الجميلة هي في الواقع نواة الرقي والتكوين وواسطة
التخرج في هراقى العظيمة والسحر . وانها هي الاداة التي تخلق في الانسان هبة الذوق
وتثبت في النفس أصل الميل إلى التنظيم والتنسيق كما تشهدنا جميعاً من حل لغز الحياة
وها أنذا أزور مصر للمرة الثانية فأجدها بعد أعوام اثني عشر من زيارتي الأولى لها .
وثابة في هذا الميدان ، ووثابة بشكل يذكرني على الفور بماضيها الفني الحبيب
ومجدها الابدي الرهيب

<http://www.scribd.com/doc/100000000/100000000>

ولكن هناك أمر يجب التوقف على تحقيقه قبل هوات الفرحة ذلك أنه من الواجب
أن تعنى وزارة المعارف المصرية بتنظيم شؤون الفن الجميل لا بمعونة رجال العلم أو الجاه
فقط بل بمعونة رجال الفن المصريين . فقد رأيت لبعضهم هنا لوحات تفرض بالحس
والتوفيق والاستعداد ، نعم ويجب أن تكون في الوزارة وحدة فنية قائمة بذاتها مستقلة
بميزانيتها يديرها رجل رشيد ويشرف على نواحيها المختلفة رجال الفن أجمعون مع
هيئة لمعاهد الفنون الجميلة وأخرى للمتاحف وثالثة لبور الآثار ورابعة للمتاحضرات
وهكذا) .

هذا قول زائر أجنبي فليتنا وأنه كما بين قول خالص نزيه فلتنظر ماذا يقول فيما
بعض القائمين بالحركة الفنية وما تقول أيضاً جمعية محبي الفنون

في عام ١٩١٩ أقيم بالقاهرة أول معرض للفنون الجميلة بأيدى الفنانين المصريين
الذين بدأوا يدرسون الفن منذ ربع قرن على المدرسة التي أسسها صاحب السمو الامير

يوسف قال - فكان هذا المعرض أول لقاء جميل رددت صفاء النفوس - أتبعه
القانون المصريون بإقامة المعارض السنوية حتى عام ١٩٢٤ حيث تأسست جمعية
عبي الفنون الجميلة وأعلنت تطوعها لنشر روح الفن الجميل كما سجلت معرضها هذا بقانون
جاء في بتمه الثاني ، غرض الجمعية تشجيع الفنون الجميلة بإقامة المعارض واللقاء
المحاضرات وبشكل وسيلة أخرى .

فلم يسمع الفنانين المصريين الا الترحيب بالجمعية الجديدة حيث أن وجودها
يمكنهم من التفرغ للبحث الفني والإنتاج وفعلا بدأت هذه الجمعية إقامة المعارض
السنوية من ١٩٢٤ إلى ١٩٣٠ ولم يكن هناك شيء يعوق استقرار الحركة الفنية لولا
أن الجمعية حادت عن المبادئ السامية التي تأسست عليها

فبدلا من توجيه العناية إلى مصر وقفت كل جهودها على خدمة أوروبا وبدلا من
أن تعمل على التعاطف بينها وبين الفنانين المصريين ذات تستأثر الاجانب بهذا
التعاطف كما تغمرهم بكل أنواع التشجيع .

خذ مثلا معرض القاهرة ١٩٢٧ وكان مليئا بأعمال فنانى مصر الممتازين - أنها
لم تقف من تلك التحف المصرية شيئا يذكر متذرة بأن مبلغ الحكومة للتشجيع
يوزع أكثره في معرض جامعة الجيزال (الخارجة على جمعية عبي الفنون) عام ١٩٢٧
كما أن الباقي وهو ٢٠٠ جنيه مخصص لشراء لوحات من المعرض الفرنسى الذى على
المعرضين في ذات العام . . فتسوقنا ذلك إلى رؤية اللوحات الفرنسية ونسبنا أنفسنا . .
حتى إذا أقيم المعرض الفرنسى ورأينا أن أكثر لوحاته من الفن الحديث الذى خرج
فيه أصحابه على القواعد والأصول كما خرجوا على الطبيعة في الاخذ والتثيل . . لم
ندر إلا وقد نضخم مبلغ المئتي جنيه فوصل في اسبوع إلى ثلاثة آلاف . توزع كلها
على صور وميداليتين وتمثال صغير

ولا ريب أن في التشييد بأقتناء هذا النوع من الصور الفرنسية وإهمال الفنانين
المصريين نهد لكفاءة الأمة في شخص هؤلاء الفنانين . وتحكم في نفسية الشعب ان
يأثر بهذا النوع المزيل . وفيه فوق ذلك تسيطر الدواهب وقتل للروح الفنية في الصميم .
على ان ما حدث هذا العام قد حدث مثله في كل عام ، وما يزال أثر المعرض
الاخير (١٩٣٠) حيا في الأذهان ، إذ وزع من المبلغ المخصص لهذا المعرض وقدره
(٢٠٥ جنيهات) على الاجانب (٢٠٢ جنيهه) ومصرى واحد (٣ جنيهات)
متجاهلين كثيرا الفنانين الممتازين المصريين ومتغافلين عن أقدارهم التي شهد بها أهل الغرب

وأدهى من ذلك — المعاملة — فالجفاء تأخيرين الجمعية (جمعية محبي الفنون الجميلة) وكافة الفنانين المصريين . وهي لم تفكر يوماً أن تستعين برأيهم فيما يحقق الغرض الذي أعلنه وتأسست عليه وعجزت وحدها عن تحقيقه .

يسوؤنا أن يكون لهذه الجمعية أغراض بعيدة كل البعد عن الغرض (السامي) من تشجيع الفنون الجميلة المصرية — نعم يسوؤنا أن يكون غرضها الحقيقي هو النظام أمام أوروبا ابتغاء حيازة النياشين وما إليها . والتظاهر أمام المقامات العليا هنا قصد الاستئثار منها بآيات الخد — والتظاهر للشعب المسكين قصد التعالى عليه والادعاء يسوؤنا أن تكون هذه أغراض الجمعية وأن تنفق من أجلها أموال المصريين لفنانين غير مصريين مقابل أن تقتل المواهب المصرية بل تقتل الروح الفنية التي لم تدخل لها يوماً في حساب .

والغريب أنها حين تدعي أن الفنانين المصريين مبتدئون لا يستحقون التشجيع لا تخطن إلى أنها مؤسسة في الأصل لتشجيع الفنون وإنما يادعائها هذا تقرر أن الأمة في غير حاجة الآن لهذه الإدارة الخاصة بوزارة المعارف للفنون الجميلة — ولا لغيرها من الجمعيات .

أن الاعتراف بوجود الفنانين المصريين أمر واجب كاعتراف الفنانين بفضائل صاحب السمو الأمير يوسف كمال — وليكن هؤلاء الفنانين مبتدئين على حد تعبير ذوي الأغراض ، فليس هذا بمنع من أن تظلمهم الحكومة برعايتها كما تظلم مدارسها الابتدائية بالرعاية والتعظيم ،

أن خطر الشوط والأعمال التي يوجه إلى الفنانين إنما يتجاوزهم إلى بث اليأس في الشباب الطموح الذي يتطلع إلى هؤلاء الفنانين قبل أن يحدو حذوهم في أعمال الفنون وهذا هو عين الخطر الذي يهدد الحركة .

أما وقد صيرنا على هذه الجمعية فأننا نوجه إلى إدارة الفنون الجميلة بالوزارة أن تولى هي إقامة معرض الحكومة السنوي حيث تنفق هي عليه . . . فالعلاج الوحيد أن تعفى هذه الجمعية من إدارة شئون لم تخلق لها ولم تعد عدتها للتوفيق — وليس هذا بمنع من أن يكون لها إذا شاءت — معرضاً خاصاً تمثل فيه أي صبغة تريدواي لون نشاء .

فإذا سمح لنا العاملون على انقاذ الحركة الفنية أن ندلي بأرائنا في نشر روح الفن الجليل بصفتنا فنانين فأننا نقدم إليهم بهذه المقترحات .

(١) أن أمر الثقافة الفنية يجب أن يتولاه الفنانون المصريون العاملون من

البعثات . لانهم افسر على تفهم الشبكات المصرية وما تتطلبه من توجيه خاص فضلا عن انهم اعرف من الاجانب بلغة البلاد التي هي واسطة التفاهم بينهم وبين الطلاب على ان تعمل هؤلاء الفنانين حرية البحث مع الوقت الذي يمكنهم من العمل على الانتاج الشخصي بصفتهم فنانين — والا كان احتياجهم خلف وظائف التدريس مدعاة لصددهم عن تحقيق الدعامة الاولى لنشر روح الفن . ألا وعن الانتاج الشخصي والابتكار .

(٢) ان ادارة المعارض والمناشط ودور الآثار الفنية وما يقع هذه الادارة من تنسيق ودعاية والقاء محاضرات يجب ان يترك أمرها الى الفنانين المصريين الذين يعنون للخارج لدراسة هذه الشؤون . وينتخبون من رجال الفن الحاصلين على شهادة البكالوريا المصرية للفن بدرجته تاربخ الفنون بقصد القاء المحاضرات وعلى شهادة الكفاءة على الأقل الآخرين .

(٣) يجب ترقية متحف الفن الحديث بأعمال الفنانين المصريين على ان يخصص به قسم لأعمال الاجانب اما القطع التي تزيد على حاجة المتحف المذكور فتوزع على المدارس المصرية . ليستطيع النشء تذوق الجمال فيها والتأسي الثقافة الفنية البعيدة عن متاولهم خارج التدريس .

(٤) يؤسس متحف آخر من صور طريقة أصلية ونسخ (copies) لاشهر أعمال المصورين في العالم وهي التي لا يمكن اقتناؤها بغير هذه الوسيلة . على أن يقوم بهذا النسخ مصورون اخصائيون — ولهذا المتحف مزية كبرى هي أن يكون موضوع موازنة ودروس لتطور الفن في مختلف القرون .

(٥) نظام صالة مستديرة (gallery) لبيع تكون تحت اشراف الحكومة .

(٦) تعيين مكافآت للمدرسين الذين يشرفون على التجميعات الفنية في المدارس الى جانب الاعانات المخصصة لهذه التجميعات الآن ولا تفي بهذا المكافآت — ويدين جدا ان في تشجيع هذه التجميعات على هذا النحو بث روح الفن والتقدير الفني .

(٧) المبلغ المخصص للتشجيع يقسم بحصة قطع مصرية ويصرف منه على رحلات لفنانى مصر الممتازين في الوجهة القبلية مثلا أو مرا كش أو أوروبا على ان تسمى هذه النفقات جوائز أرتحال في يطلق عليها اسم الجهة كجائزة أوروبا مثلا . . أما الخس الباقى فيقسم به (على سبيل الجمالة) من الفنانين الاجانب الممتازين قدر من المتحف الفنية تبينه لجنة الشراء المؤلفه من بعض فنانى مصر ومندوب الوزارة

- (٨) لجنة التحكيم بالمعرض يجب أن تكون مصرية ويمثل الفنانين الأجانب المعارضين أعضاء لا يزيدون عن ثلث الأعضاء المصريين .
- (٩) يعطى لكل عارض بمتاز سبق أن عرض ثلاث دفعات متوالية الحق في أن يقدم علاوة على القطع التي تفحصها لجنة التحكيم مالا يزيد عن أربع قطع أخرى تعرض خارج دائرة التحكيم .
- (١٠) تخصص حجرة لعرض قطع في موضوع واحد كالصحراء أو النيل أو الحيوانات أو غيرها .
- (١١) تعين بمعرفة لجنة التحكيم لجنة خاصة من الفنانين لتعليق الصور أو زيوها على صالات المعرض

أعضاء



حرية الفكر

وانثرها في تكوين الحضارة الانسانية

على أساس الدين (١)



يخيل الى كثير من الباحثين أن حرية الفكر قالب جديد صب فيه الفكر بعد أن تخلص من قيود اللاهوت التي ظلت مؤثرة في كل ماحول الفكر أن يبرز من آثار في العصور الوسطى وحدود العصر الحديث ، ويخيل اليهم أيضا أن أحرار الفكر لم يوجدوا في عصر من العصور ، اللهم إلا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهذه العقود الثلاثة التي فرطت من القرن العشرين . على أن غالب ما يكون الحق مع الذين يذهبون عكس هذا المذهب ويبرهنون فكرة أن حرية الفكر وجدت في كل الأزمان وأنها قالب صب فيه الفكر مرات عديدة خلال التاريخ البشري .

ولست حرية الفكر قاصرة على استكشاف الأفكار الجديدة في العلم أو الفلسفة أو الأدب بل هي طامع الإبداع في كل العصور والنكاة التي امتدت إليها كل المصلحين في كل بقاع الأرض وخلال كل دور من دورات الحضارة . غير أنه بين حرية الفكر في الأزمان القديمة والحديثة فارق واحد . هو أن هذه الحرية في العصور الأولى تمت بها فرد واحد تبعته الجماهير ، أما في العصر الحديث فأصبحت الحرية الفردية طامع الاكثية من المتعدين . فاقبلت الصورة مع ثبات في الجوهر ، فالشخصية الفردية في الحضارات القديمة قد تبدلت في الحضارات الجديدة بلقيف من الأحرار يرقعون علم التقدم أمام الجماهير تبعهم ابتاعا أعمى . بعد أن كانت تقع فردا واحدا تباعا أشد حماية في العصور الأولى

أخذ مثلا على ذلك الحوادث الكبرى التي يرويها التاريخ في نشأة الحضارة . فإني اعتقد أن خروج خليل الله إبراهيم من أور الكلدان حادث من أكبر الحوادث التي وقعت في تاريخ الانسانية . على أن خروجه من تلك البلاد ومهاجرته مع أهله غربا

(١) مقال لحرر العصور نشر بالعدد الممتاز من مجلة الحديث التي تصدر في حلب

وهي من المجلات الممتازة ينزعها الى التجدد ويعرورها الأستاذ سامي الكيال

الى ارض كنعان أن كان حادثاً بسيطاً في حد ذاته فانك اذا بحثت في سببه الحقيقي رأيت كيف يدل التاريخ على أهمية الحوادث البسيطة ، وليس لخروج ابراهيم عنك من معنى إلا الصراع بين فكرة التوحيد وفكرة التكثير ، فانك اذا قرأت تاريخ خليل الله منذ نزوحه من ، أور ، الى موته لانجد في ذلك أثراً من فكرة « بعمل » ولا « عشائر » ولا ارض « حارس » البابلية ، بل تجد فكرة في التوحيد ثبتت أصولها في صميم الفكر الانساني منذ ذلك الحين الى الآن من غير أن ينتابها تغير أو يعتريها انتعاب . اللهم إلا في الصور العديدة التي أخرجها أهل الكلام في اليهودية والصراية والاسلام

والسبب في ذلك واضح ، فإن الأديان ليست مبتكرات صرفة تخرج من عقول الذين يأتون بها فتكون كالصور السحرية التي يقال بانها تظهر لحاجة ولا يكون لها أصل ترجع اليه في عالم الوجود الخارجي ، ليست الأديان من هذا في شيء ، أنها دعوة قديمة تؤيد مبادئ تكون قد وجدت بالفعل وتنبع بها جو الفكر الانساني ، لهذا تختلف في الصورة وتظل ثابتة في الجوهر .

ARCHIVE

نعود الى هبوط الأسياط مصر وخروج يوسف القديس من بينهم زعيماً سياسياً كبيراً وقائداً اجتماعياً انصرف الى الدنيا تحت لباس النبوات التي أخضع بها ملك الحكوس الذي ظهر هو في زمانه ، واستطاع بذلك أن يطيل حرب الاستقلال المصرية في ذلك الحين ، وكانت قد قامت سجالاً بين ملوك الحكوس الذين بسطوا سلطانهم على شمال مصر من عنق النيل الى البحر الأبيض المتوسط وبين أمراء مصر في صعيدها وكانوا تابعين لغزاتهم بالانبارة والجزيرة أكثر من ثلثين عاماً طوالاً . بل استطاع بذلك أن يخدم عشيرته من أبناء ابراهيم بميزانهم أرض ، جامان ، الخصيبة في مصر ما بين بلدة « بابيس » الحالية ومدينة « الاسماعيلية » الحديثة حتى تكاثروا فيها وامتد سلطانهم واعتز جانبهم . وهو في كل هذا غارج على تعاليم ابراهيم جدهم الا كبر الذي أنزلهم الارض التي وعدوا بها ارض كنعان وسدوم ، وهو في كل هذا قد تحرر من تفاليد عشيرته التي كانت تنطوي على الانصراف الى الله دون غيره من زخارف هذه الدنيا فلك وحكم وتحكم وأوصى بوصاياها لخير أهل الدنيا دون غيرهم من أهل الآخرة وهو أن استنحى في كل ذلك وراء وصايا ابراهيم إلا أن كل أعماله كانت على عكس

الروح التي أراد ابراهيم أن يبثها في عشيرته ، وعلى الضد من الخطة التي سار عليها في حياته . بل لماذا نذهب الى ابراهيم ؟ فان يعقوب نفسه (اسرائيل) كان من أكبر المحافظين على تقاليد ابراهيم التي كسرهما يوسف وبعدها في خلال حياته تبديداً . فانه أخرج قبيلة العبرانيين من جماعة جل همها الانصراف الى الله ونوحده ، الى جماعة عائلية مستعمرة من طريق الاحتفاظ ، بالسلام الاجتماعي ، بعد ان حانت له فرصة الزعامة في أرض الفراغة . ولا جرم أن في هذا من حرية الفكر . ومعناها التحرر من التقاليد الموضوعة .

أثراً كبيراً وأنه كان في كل أدواره متمشياً مع الحاجات الأولية التي تضر الجماعات بضرورتها لها دون تجاهية الأفكار الخيالية التي أنطوت على كثير من النعائير التي قامت عليها حركة العبرانيين (١)

وكذلك نجد الحال اذا انتقلت ، الى موسى ، فانه أخرج العبرانيين من شعب مستعمر أساس استعماره السلام الى شعب فاتح بقوة الساعد والسلاح . فان خروجه من أرض مصر لم يكن إلا ثورة قادها موسى خير قيادة ضد الملك الفرعوني بعد أن طرد الهكسوس من مصر ، وبعد أن مات يوسف الصديق . لا أدري . قد أركم من السنين . ولم يخلفه سياسي آخر يستطيع أن يحفظ البناء الذي شيده يوسف للملك الهكسوس الذين لا يبعد أن يكون لهم بالعبرانيين صلة السلالة ، وإن كانت الحقيقة أن بين الهكسوس والعبرانيين صلة المواطن . فهم على الأقل أسبوريون من غرب آسيا كذلك اعتقد أن سبي التيه في سيناء لم تكن إلا حيلة لجأ اليها موسى ليدير الشعب العبراني على أن يكون شعباً حرياً يتحمل الشاق والمتاعب . بل أراد بذلك ان يخرج من أولاد العبرانيين سلالة صحراوية جديدة فعكف على سنن أهل البداوة ليفوز منهم بجبل حربي جديد . ولا يعوزنا الدليل على ذلك فان تاريخ موسى كما يرويه ريبانو ، التلمود ، مفعم بالادلة التي تؤيد مذهبنا هذا .

فغير خاف مثلاً أن موسى بعد أن قتل المصري الذي كان يناوي العبراني ، هرب من أرض مصر مختاراً شبه جزيرة سيناء ، حيث قطعها من الغرب الى الشرق ، ثم حبط أرض مدين ولبث بها سنين عديدة ، تزوج في أثلاثها من بنت ، و شعب ، وظل طوال هذه السنين يرعى الاغنام ويتنقل بها من مكان الى مكان في تلك البراري

(١) راجع مقالنا ، مظاهرات في سفر التكوين ، الذي نشر في العصور

المصلحة المترامية الأطراف . هذه حقيقة أولى لا يجب أن تغيب عن أذهاننا .

ثم يجب أن نذكر بجانب هذا أن شعب العبرانيين ، منذ هبوط الأساط أرض مصر ، قد عاش في كنف يوسف وفي أرض « جلعان » الخصبة عيشة كلها لذة وترف وسعادة وانصراف عن العادات العمرانية الأولى التي عكف عليها أجدادهم . ثم لنصف إلى ذلك أنهم أقاموا في مصر أربعة أجيال على الأقل ، ثلاثة في حياة يوسف ، وجيل بعد موته حتى ظهور موسى . هذا على أعدل تقدير . ولا جرم أن أربعة أجيال يعيشها شعب في دعة وحرية وأرض خصبة تؤتيه أكلها من غير نصب ، وتعطيه مرعى لمواشيه من غير تعب ، كافية لأن تقتل في نفس شعب جوال كالعبرانيين ، فضيلة القدرة على الجهاد منذ أول أيام تاريخه ، وكل نزعة إلى حب الحرب والجلاد . إذن فقد دخل العبرانيون أرض مصر قبيلة صحراوية جواله فيها الكثير من صفات أهل البداوة ، وخرجوا منها شعباً ناعماً عادئاً فيه كل صفات أهل الأودية الزراعية . وهذه حقيقة ثانية لا يجب أيضاً أن تغيب عن أذهاننا .

ماذا نستنتج من هاتين الحقيقتين ؟ نستنتج منها أن موسى كان عليماً بجغرافية سيناء وأرض مدين معرفة صحيحة . وأن العبرانيين قل من كان يعرف منهم شيئاً عن جغرافية هذه البقاع ، إن لم يكونوا جميعاً على جهل بها . لهذا استطاع موسى أن يغيبهم في جوف التيه سبعين عديدة ، حتى يقضى الجيل الناعم الوادع الذي خرج به من أرض مصر ، والذي أثرت فيه طبيعة الوادي الزراعي اخلاقياً واستعماريًا ، ويخرج من جيله جيلاً فيه كل صفات أهل البداوة وشجاعة سكان الأراضي الجبلية . بذلك على هذا التورات الكثيرة التي شنها العبرانيون ضد موسى وطلبهم منه أن يعود بهم إلى مصر ليعيشوا فيها عبيداً لفرعون على أن يكونوا شعب الله المختار ، وعلى أن يلقوا توراثة الله من كليم الله . بل إنهم رجوه مراراً عديدة ولم يستنكفوا أن يظلموا على رجمه عاكفين ، حتى بعد أن يهبط آله إسرائيل في غمامة ويظلل موسى منعا لاذنم عنه ، فلا يتورعون ، عن أن يرجعوا موسى ومن فرقه الغمامة والله فيها ١١١ كل هذا حيا في عبودية فرعون وزهدا في حرية موسى .

كل هذا ولا يرجع موسى عن أن يتركهم في التيه يموت منهم العاجزون ويبقى الصالحون . ففكرة انتحاية طبيعة طلقها موسى على شعب إسرائيل جهد ما يستطيع مؤمن بتأنيها في إخراج أجيال الحرب والجلاد . وعلى نفس الطريقة جرى أهل اسبارطة في عصور المدنية اليونانية .

من وراء أي ستار يخفى موسى عقائده ؟ يخفيها وراء ستار التوراة . إن الله يريد أن يعلم شعبه المختار أسرار التوراة . وأين ؟ في آياته أولاً . خروج لهم من هذا آتية الموسوي إلا بأن يتعلموا التوراة ويستوعبوها . ومن ذا الذي يحكم بانهم استوعبوها ؟ موسى وسعد . ولم من الذين تكفى لاستيعابهم التوراة ؟ أربعون سنة فقط . وهي حقبة من الزمن كافية لأن يغربل فيها شعب إسرائيل وتنفذ مناسق الزمان المناسبة فلا يبقى منه إلا الشعب الجلي المستودق في بركة سيناء وحده . الشعب البدوي الصابر المصابر الذي يتحمل مكاره الجوع والعطش والذي يشعر بأنه جدير بأن يدافع عن نفسه بيده . وينفود عن حياته بسلاحه .

ولا خطأ في أن تاريخ موسى يدل على أنه كان جباراً قوياً الاصلاح . وأنه زعم يصير على نخث شعب إسرائيل وتأتته إلا موسى ؟ ومن ذا الذي يصير على ميوعة تلك النظرة التي بهذا سفر الخروج أحسن وصف إلا موسى ؟

وانت نقد موسى سياسته أحسن تنفيذ . وأخرجها من حيز الفكر إلى حيز الوجود أحسن إخراج . فأخذ شعب إسرائيل من مصر عبداً . وتركهم بعد فتحهم أرض الميعاد شعباً حرياً قريباً ينظر أمير الطوربة « داود » ليتسلط بها على الشرق حقبة من الزمان .

كل هذا يخفى وراء الإيمان واليقين بصحة الرسالة التي اعتقد موسى أنه واجب عليه في الحياة أن يؤديها لأهل بيته . وللأجيال الآتية من بعده . وإن في جماع هذا لا تروا من حرية الفكر ، احتدل في سبيله موسى من المكاره ما لم يحتدل حر من أحرار الفكر جز . على ألف منه خلال كل الأجيال التي وصل إليها تاريخها .

على أن في هذه الصورة لاختصاصاً لا يتحمل المقام أوسع منه . ولورجعت إلى أسفار التوراة ، أو التلود إذن لوأيت كيف أهين موسى وكيف استهزئ به وكيف نذ و دجهم بالطوب والحجارة ، وكيف تدلل عليه شعب إسرائيل تدلل النساء والخثين . ولكنك ترى بجانب ذلك كيف صبر موسى وكيف صابر ، وكيف انتصر على أهله . فأخرجهم من ظلمات الجهل والعبودية ، إلى فيء الحرية والعلم . ترى كيف أشربهم روح التوراة بوصاياها المجيدة ، وكيف هيأ منهم شعباً قائماً ، حتى أنك لو نظرت في تاريخ الجلاء بين موسى وبين شعبه ، لتساءلت كيف يختار الله هذا الشعب ليكون شعبه . وكيف يمكن أن يخرج من هذا الخليط المؤنث شعباً لا يبقى في الوجود من شيء إلا هو والله ، كما ينص التلود ؟

غير أنه لم يكن لموسى من به أن يخفى مقاصده وراء ثوب القداسة ، وإن يستدر التوراة من السماء ، وإن يكلم الله فشعب إسرائيل ذو ميول دينية من ناحية ، وكثرة مطالبه ورغباته وثأته من جهة أخرى ، لم يكن لها من علاج إلا أن يكلم الله موسى ، وأن يكلم موسى الله ، ليرضى شعب إسرائيل نزعة الدنية ، ويشعر كما يشعر النساء بأنه في كنف العزيز الحميد ، يستظل بحمايته في به سيناء ، فكيف عن إلهاء موسى

• • •

على هذا تجد الحال إذا أنت انتقلت من اليهودية إلى النصرانية ، فإن روح اليهودية قد صبت على ما اعتقد في مزامير داود . روح تطلعت في خوف الله خوفا شديداً واسترضاء لجبروته العظيم . حتى داود في مزاميره يتقرب من الله مصطبها بهذه الصفة . فلما ظهر عيسى على أنه المسيح الذي ينتظره اليهود حتى اليوم تحت ظل البراق ، وبشر بنظرية جديدة حسب فيها روح النصرانية ، وقال بأن ملكوت السماوات يفتح للحب لا الخوف ، كان بهذا صاحب مذهب جديد يحتاج إلى كثير من حرية الفكر وإلى كثير من الشجاعة على أبحاثه .

وكذلك إذا أنت رجعت إلى الإسلام ، رأيت فيه مذهباً وسطاً بين مذهب اليهودية والنصرانية . وإن روحه استمدت من الخوف الشديد والحب الصامت الرهيب . وعندى أن الآية المعروفة في سورة الرعد : « أن ربك ذو مغفرة للناس على ظلمهم » وإن ربك لشديد العقاب ، فيها تعبير صادق عن روح الإسلام . فهو مذهب منتخب من تقاليد العبرانيين منذ أبعد أزمانهم اتخذ آيين صوريين فيها صورة المزامير وصورة الانجيل ، وأخرج ديناً جديداً ، كان بحق دين الله ، الذي استطاع أن يخضع العالم المتحدين في ثمانين عاماً قساراً من عمر الدنيا .

ولا جرم أن في كل هذا قدراً كبيراً من حرية الفكر ، لن استخضت وراء مظاهر ما فوق العقل . فإن روح العصر كانت سبياً في ذلك . وإن للفكر تقاليد ثابتة تحدث جراً خاصاً ، لا يعيش في الأفكار والمذاهب إلا ما انبج في ذلك الجو .

وإن مجال البحث في هذا لواسع كبير ، تسعى لو نتاح لنا الفرص مرة بعد أخرى لتناول جوانب منه ، تمشياً مع روح زماننا واستجابة لنداء الحرية الفكرية التي أصبحت طابع العصر الحديث على الأساليب العلمية التي اتعمت جواراً في هذا الزمان .

عن عجائب الكيمياء الهريمية

بعض المركبات النتروجينية

المركبات النتروجينية كثيرة العدد كبيرة الأهمية لانتقل عدداً عن المركبات الكربونية ، وهي من أهم المركبات الكيميائية المعروفة بمثابة المواد الأولية لصنع المفرقات والمقايير والأصبغ علاوة على كونها من مركبات الأجسام الحية . وبحالة كذله تحقيق عن ذكرها كلها واستعمالات كل منها في الصناعة ولذا اقتصرنا على بعض المركبات الأكثر شيوعاً واستعمالاً

يتوقف مصدر كثير من الأهم على مركبتين يصنعين من مركبات النتروجين هما حامض النتريك والأمونيا وهذان المركبان يعتبران محورياً للصناعة اليوم لأن منهما تصنع المفرقات والأصبغ وغيرهما ولو جردت شبة منهما لأخذت قواه الحربية والصناعية والزراعية في الشان . فكما تتدخل بنود معاملة المفرقات والأسلحة وتتوقف مصانع الأسلحة الكيميائية نقل كميات الأختبة النتروجينية حتى تصبح لأغنى بحاجة السكان . ولأهمية هذين المركبين شرعنا في شرحهما قبل سائر المركبات وبدأنا بحامض النتريك لعظم مركزه التجاري الصناعي

عرف حامض النتريك منذ القرن الثامن وأول من أوجد طريقة لتحضيره بكثرة هوراموندالي (Raymond Lully) سنة ١٢٢٥ ول سنة ١٧٨٥ فحصله كافنديش (Cavendish) فحصلاً دقيقاً وعرف أنه يتركب من الهيدروجين والنتروجين والأكسجين (H. No. 3) ويوجد بكميات قليلة في الجو . أما الملاحداً أكثرها شيوعاً ثمرات الصودا (Na. No. 3) وثرات البوتاس (K. No. 3) وقد تكونت هذه الأملاح من تأكد المواد النتروجينية العضوية المختزجة بكاربونات الهيدروكسيدات معدنية .

وهذا الحامض سائل لالون له شديد الالتلاف للبراد العضوية خاصة لما يكون قهاً ومركزاً . ويتفاعل مع أغلب المعادن فيرسل غازات سامة هي إما أكسيد النتروس أو أكسيد النتريك ، ويتحلل مركزه بتأثير ضوء الشمس إلى حامض النتروس وأوكسجين . فإذا وضعت قنية محكمة المدخل في غرفة في غرفة

ساطعة الضوء فسرطان ما انفجر لضغط الاوكسجين الناجم من تحلل الحامض . ولما يحفظ في قنّ زرقاء محلات مظلمة : ويتعذر ارسال كيات صغير ذمت لمسات شامعة للسبب ذاته ، إلا اذا خففت بالماء ولكن كثيراً ما تحتاجه معامل الاصباغ مركزاً وخاليا تماماً من الماء ، ففي مثل هذه الحالات يخرج بكمية معادلة له من حامض الكبريتيك ويرسل المزيج بأوان حديدية ، والحامض بهذه الكيفية لا يؤثر على الحديد لأنه يتفاعل معه بآدي ، بدء فيحدث طبقة من ثاني اكسيد الحديد تكون حاجزاً يمنع ملامسة الحامض وجدران القنية .

ولحامض النتريك فعالية عظيمة تؤدي في كثير من الاحيان لحوادث مؤلمة ، ومن اقرب الحوادث التي نتجت عن فعاليتها الفاجعة التي حدثت قبل بضعة سنين في إحدى مصانع الاصباغ في ألمانيا ، وخلاصتها ان عاملاً سقط في قدر ملوئ بمزج من حامض النتريك والكبريتيك بدرجة الغليان ومن جره سقطه لم يشاهده أو يسمع صوت استغاثة أحد وبالحظ أو لحظتين اذيت كل اجزاء جسمه ولم يبق له اي أثر ، وعند ما فقدته صحابه ولم يفعلوا له على اثر غلوه هرب خفية وسافر لأمريكا ، اما مدير المصنع فهو الوحيد الذي اعتقد انه سقط بالحامض فاذاب هذا الجزء وعظمه وعلاجه واحذيته وكل جزء به ، ومن الصدف ان هذا المسكود الحظ كان قد آمن على حياته ولما طالبت زوجته بما تستحق من مبلغ التأمين رفضت الشركة طلبها ، لأنها كانت لا توافق بموته ، فالتجأت الزوجة الى مدير المصنع متوسلة إليه أن يمد لها يد المساعدة فيمكنها من تيل المبلغ المذكور ، وبعد ان اعمل المدير فكره قرر تحليل جزء من المزيج و بعد التحليل وجد انه يحتوي على كمية من النقصور استدل بها على سقوط الرجل في المزيج . ذلك لأن عظام الانسان مكونة من إحدى مركبات النقصور - خصائص الكلس - فوجود هذا العنصر في الحامض معناه سقوط الرجل فيه وإلا فكيف وجد ؟ ولما عرضت النتيجة على شركة التأمين ادعت للأمر ومنحت الأرملة المكنة مما طالبت به ، وليست هذه الحادثة إلا نموذجاً بسيطاً للقواجم التي تأتي من فعالية النتريك ، ولكن مهما كثر ضرره ففعله للبشرية أكثر .

وبعد حامض النتريك من أهم المركبات الكيميائية ويصنع منه سنوياً ما يتوقف على المائة ألف طن ، وكمية كهذه كافية لتشكيل بحيرة مساحتها السطحية ٢٠٠ باردة مربعة بعين عشرة أقدام ، وقد ازدادت صناعته أثناء الحرب العظمى زيادة عظيمة لاستهلاكه في صنع الاصباغ والمفرقات ، فصناعة الابلين مثلاً - التي تنكس أحمالها الملايين

من الحفريات - تتوقف على هذا الحامض وتجهيز المفرقات بأواعها لا تتم بدون
 النيتروجليسرين Nitroglycerin الذي هو أساس الديناميت والجلاتين المفجر وسائر
 المفرقات تصنع بمزيج الجليسرين بحامض النتريك كما أنه يتعدى الحصول على حامض
 البكريك Picric Acid الذي هو أساس الليديات Lyddite والمليينات Mellinite
 وأمثالها وكذا ثالث نيترو تولوين Trinitrooleine الذي هو أهم عنصر لصنع الحرائق
 الحديثة إلا تفاعل حامض النتريك والفيتول - حامض الكربوليك - وحامض
 النتريك والتولوين - وأكثر من ذلك لا يمكن الحصول على نترات الألومنيوم عالم
 تتفاعل الأمونيا مع هذا الحامض بجميع هذه الأساليب قبل إذا جرد شعب من حامض
 النتريك فكانه جرد من كل وسائل بقاءه .

ويصنع حامض النتريك بعدة أساليب . فقد كان ولا يزال يحضر من ملح شيلي -
 نترات الصودا - وكيفية صنعه أن يحصى الملح مع مركب حامض الكبريتيك
 بمراحل عديدة فيتفاعل الحامض والملح وينتج حامض النتريك وبسلفات
 الصوديوم Na_2SO_4 وبعد أن يتم التفاعل يقطر حامض النتريك ويجمع بأوان فخارية .
 ولكن مخوف ألمانيا من نفاذ ملح شيلي أولا ومن منعها منه عند الحرب ثانيا جعلها
 تنكر طريقة تحضيرها لتقليلها وحامضها منتشرة من النرويج والجرماني .
 نحو الكرة الأرضية يحترق أربعة آلاف بلون طن من هذا الغاز أي أن لكل ذراع
 مربع من سطح الأرض سبعة أطنان منه . ولا يستفاد من هذه الملايين إلا إذا مزج
 بمادة أخرى فلترجع طرائق أخرى مختلفة أهمها أحراقه بأمراره خلال قوس كهربائي
 ويسهل ذلك في البلدان الغنية بالقوة الكهربائية حيث تكثر هناك الشلالات العظيمة
 ببلاد السويد وأمريكا أما في ألمانيا حيث تقل القوة الكهربائية لفئة الموارد
 الطبيعية فلا يمكن الاستفادة من هذه الطريقة ، ولذا سعى كيمائيوها
 لاستنباط طرق لا تكلفهم كبير عناء : فانت جهود الكيمائي الكبير أوستوالد
 Ostwald إلى تحضيره من آلامونيا - غاز الشادر - المحضرة من الجو ، وخلاصة
 طريقته أن يمزج غاز الآمونيا بكبة من الأكسجين ويمرر من أنابيب محلوة بقطع
 صغيرة من البلاتين المحصى ، فيحدثان بتأثير البلاتين دون أن يؤثر فيه . وعند ما يتم
 ذلك تتأكسد الآمونيا ويتكون حامض النتريك . ويعزى ثبات ألمانيا في الحرب
 العظمى إلى هذا الاكتشاف ، ولولا أنه لانت هت الحرب بعد بضعة أشهر أو جزء من سنة

فقد كانت ألمانيا لا تحارب الحلفاء بحتودها، وإنما بفرقعاتها وبمركباتها الكيميائية
لمحضرة من حامض النتريك



وبعد أن اتضحت لنا أهمية الأمونيا في تحضير حامض النتريك فلابد من أن
نأتى على خواصها وأساليب تحضيرها.

عرفت الأمونيا منذ قرون عديدة . فقد أشار إليها الكيمائي راعوند الى في رسالته
الخطية منذ القرن الثالث عشر واستعملها بنجارية باسل فالسان Basil Valentine
في القرن الخامس عشر ، واستحصل عليها بريستلي Priestly سنة ١٧٧٤ وحللها شيل
Schel سنة ١٧٧٧ فعرف أنها تحتوي على النتروجين . وهو غاز أخف من الهواء
قابل للذوبان في الماء ولذا تجمع عند تحضيرها بإزاحة الهواء أو على سطح الزئبق ؛
ولها رائحة قوية عادة تليها جعل المذوق تهيج عند الاستنشاق وكثيرها خافق
يمت . أما درجة ذوبانها في الماء فكبيرة جداً بحيث يذوب القدم المكعب من الماء
ألف قدم مكعب منها بدرجة الصفر . وترتفع درجة حرارة الماء عند ذوبانها
او ينضاعف حجمه للتفاعل الكيميائي الحادث بين الماء والغاز ولا تحترق الأمونيا
بالهواء الا بدرجة حرارة عالية . ويتحد مع الخوامص فتعادلها وتنتج أملاحاً تعرف
بأملاح الأمونيوم . ولخبر وكسيد الأمونيوم - مخلوقاً بالماء - عين هذه الخواص
فهو يعادل الخوامص ويؤثر تأثيراً قلوياً في صبغة عباد الشمس الزرقاء أي يبدلها الى
صبغة حمراء كما يفعل الغاز نفسه .

والضعف والبرودة يدلانها الى سائل لا لون له يغلي بدرجة حرارة - ٣٨.٥
مئوية ويتجمد بدرجة - ٧٧.٠ مئوية ويصبح كثقة من البلورات الشفافة البيضاء
عند تجمده . ومن غريب الصدف أن الأمونيا السائلة تشبه بخواصها خواص الماء
فهي تذاب كمية كبيرة من الحرارة عندما تتبخر ، كما أن المواد الغالبة للذوبان في الماء
قابلة للذوبان فيها أيضاً ولا يتلأأها للحرارة استعملت لاحداث البرودة القصوى في
التجربات وفي صنع الجليد .

وتحضر الأمونيا بإحماء كلوريد الأمونيوم مع هيدروكسيد الكلس - الجير
المطفئ - فتبعث الأمونيا تاركة خلفها كلوريد الكلس مذاباً في الماء . وتحضر كميات
كبيرة من هذا الغاز سنوياً بهذه الطريقة، غير أنه يستعاض عن كلوريد الأمونيوم
النقي ، بالسوائل الباقية من تقطير الفحم الحجري لاحتواء هذه على كميات وافرة من

أملاح الأمونيوم . فعند ما يقطر الفحم تقطير غازات تحتوي على النتروجين . ويأخذ هذه الغازات مع الجير المطفئ تنبعث الأمونيا ، فإذا مررت بحامض الكبريتيك كوتت كبريتات الأمونيوم الذي يعد من أهم أملاح الأمونيوم والذي من أجله تحضر الأمونيا . وتتم المصانع الانكليزية والالمانية بتحضير أصكر كمية بمكانة من كبريتات الأمونيوم . ولكن مهما تكن المقادير التي تحضر سنوياً فليست بكافية لسد حاجيات الأمم الزراعية . فلترابيد الطلب على هذه المادة تزايدت عظيمها وثقله المواد المنجفة من تقطير الفحم . سعى الكيماويون لايجاد طريقة أبسط من هذه وتعطي كمية أصكر . وأخيراً كان الفوز حليف كيماويين المانيين هما هابر ولودو-ساينول Haber & Le Rosignol فقد توصلوا سنة ١٩١٣ الى تحضيره مباشرة من غازي الهيدروجين والنتروجين .

عرف الكيماويون منذ عدة سنين أن الأمونيا يمكن تحضيرها عند مزج ثلاثة حجومات من الهيدروجين بحجم من النتروجين ويأمر أن بضعة درجات كبريائية خلال المزيج أو بغيره إلى الاشعة ماوراء البنفسجية ، ولا يزال العلماء يجهلون سر هذا التأثير ، ولكن لهذه الطريقة مميزات كثيرة فمع زيادة تكاليفها لا يمكن استعمالها لتحضير كميات كبيرة من الأمونيا ، فلذا اهتم الكيماويون بالانفاذ المذكور باكتشاف طريقة تخالف هذه أيضاً ويمكن أن تمد المصانع بكميات عظيمة جداً من الأمونيا . اكتشف هابر ورفيقه أن بعض المعادن كالأورانيوم والاورانيوم تؤثر في مزيج الهيدروجين والنتروجين تأثير الكهرباء . فبهما دون أن تتأثر ، أي أن هذه المعادن تكون بمثابة عامل ومساعد لاتحاد الغازين ، وقد استعملت هذه الطريقة في كثير من معامل ألمانيا فنجحت نجاحاً باهراً وأخذت تسر على أنجحها الملايين من الجنيهات . والشئ المهم أن ألمانيا لا تزال تحتكر هذه الصناعة وتأتي أن تبوح بسرارها . ولها بعض الحق في ذلك . فالمناقبة الدولية تضطرها لهذا التكتك . ولكن لو عمت صناعة الأمونيا بهذه الطريقة لامتج رخص الاسمدة الكيماوية أولاً وفتح حركتير من المعامل لصنع المفرقات والأصبغ والسلواتيد والأقلام الفوتوغرافية وغيرها ثانياً . وهذه بطبيعة الحال تكون سبباً لانتشار الصناعة فكثير الاعمال وتقل البطالة .

ويعد كل ما سلفنا لايسعنا إلا أن نأتي على مركبات النتروجين مع الكربون

مأخذا من الأهمية الكيميائية . وأهم هذه المركبات مركبين هما حامض البروسيك والسيانوجين .

قبل مئات السنين والبشر يعرفون أن المادة التي نسميها اليوم بحامض الهيدروسيانيك أو حامض البروسيك Prussic Acid, Hydrocyanic Acid من أشد السموم فعالية . وكانت تستخرج قديماً بتقطير متفرع أوراق الخوخ ، وقد استعمل المصريون هذه المادة قبل أربعة آلاف سنة لقتل من يخرج عن طاعة الكهنة ، وانقل استعماله من المصريين إلى الرومان ويظن أن السم الذي استعمله نيرون لقتل أخيه بريتانيكوس لم يكن غير هذه المادة أو إحدى مركباتها .

و يتكون حامض البروسيك من النتر وجين والهيدروجين والسكرابون ، وهو حامض عديم اللون يتطاير بالحرارة العادية أما رائحته فكثيرة الشبه برائحة الخوخ ويمكن تحضيره بتقطير أي سيانيد مع مخفف حامض الكبريتيك ، والكيميائي شيل Scheel أول من حضره بهذه الطريقة . فقد قطر سيانيد البوتاس مع حامض الكبريتيك - ويكثر وجود هذا الحامض في ثمار بعض النباتات كالخوخ ولا يوجد صرفاً بل ينتجها بالسكر ليكون المادة المحرقة بالامتصاص . ومن غرائب الطبيعة إنها توجد هذا السم الرعاف في الثمار قبل نضجها حفظاً لثمارها فإذا ما أينست فقدتها ولاملاح حامض البروسيك أهمية كبيرة في عالم الكيمياء .

أما السيانوجين فمركب غازي مكون من السكرابون والنتر وجين كبير الصلابة بحامض البروسيك ، اكتشفه جي لوساك سنة ١٨١٥ وحضره بإحماء سيانيد الزئبق . ومن خواصه أنه غاز عديم اللون رائحة كرائحة أزهار الخوخ ، يحترق عند ملامسته جسماً مشتعلاً ، ولا يوجد طلقاً على وجه الكرة الأرضية ، غير أنه يكثُر على وجه الشمس في أذناب المذنبات .

هذه نذ عن بعض المركبات النتر وجينية التي تعد أساس تقدم علم الكيمياء الحديث وأساس صناعته اليوم وسنبحث مستفيض عن المفرقات وتأثيرها في المدينة به
البصرة : حسن أحمد السليمان

المصدر — ترحب بكل بحث على من هذا القيل على أن يكون في تناول غير المتخصصين بالكيمياء فيه والانتفاع به في الحلقات الخيرية

أكل السمك

ليس في هذه الحياة من شيء هو أسنى إلى الأسفاف وأبعد عن الفضيلة من تجارة الطفل . ولقد أدرك الميثرون بالإيمان هذه الحقيقة أدركا كأقربينا لم يزعجهم فيه فلسوف أو علم من فلاسفة الأرض وعلمائها حتى الآن . فالمرأة البغي تاجر منطفة على الشوارع . والسائل القادر على كسب رزقه بتاجر متطفلا على عاطفة الشفقة . وبائع السلع المرفقة بتاجر متطفلا على الأغراء . والمزنون للشباب بالأسراف في الأفعال والشهوة يتاجرون متطفلين على الجمالة وعين البصيرة وهم جرا . هذه مقدمة تقدم بها الكلمة سوف نسوقها في تطفل الصحافة والصحفيين .

لام على صديق من الأصدقاء الذين أجل فيهم عزة النفس ونبالة القصد . أني كنت في العصور قصلا أريد به على كاتب في جريدة الأجنبيان غاريت ، قال من المصريين ومقدورهم الأدبية والعلمية ، وأذكر علينا كل شيء حتى مقدرة مخفي من صهيونا على أن يرزق ما يستد رزقه من دماء قلبه . ثم قضى بأن لا بحاجة الصحافة السوريين ، ولا أدب إلا أديهم ولا علم إلا عليهم ، إلى آخر ما هنا لك من مزاعم وأقوال .

والحقيقة أن مصر قد بليت بظانقة من الناس اتخذوا الصحافة مهنة فلم يتورعوا عن أن يجعلوها في أول أمرها مغنا تجاريا . وليس لنا أن نعيب عليهم أن تكون تجارتهم الصحفية ناجحة ماليا إلى حد ما . ولكن الذي نعيب عليهم أن يتحجروا بكل فرض شريف وبل فضيلة في سبيل المزارع التجاري . وهذا ما قصدنا إليه في كلمتنا التي نشرناها في عصور فبراير الماضي ودأ على ذلك الكاتب الذي لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه جاهل مفرض ، أحتمه السياسة عن أن يرى الفرق بين مصر في أواخر القرن التاسع عشر ، وبينها في بداية القرن العشرين ، ولما يفرط منه ثلاثة عقود من الزمان .

ولقد دار كلامنا في ذلك المقال على الصحافة السورية الصغرى . ولقد آمن من ذلك الصديق بعد مناقشة قصيرة أنه لا يمرر الخطوة التي تتبعها تلك الصحافة . ولا حتى عن المزارع التجاري الصرف الذي تزرع إليه ، وعلى الأخص تحليلها لكل عزم . وتبريرها لكل جريمة ، ما دامت تعود عليها بحال بعد جوفها العميق ، وما هو إلا أكل السمك . وأكل السمك مقبولا به أهدي سبيلا .

كذلك لا يفوتني أن أذكر هنا أني لا أنعرض بكلامي هذا إلى علماء السوريين الذين أقادوا مصر والشرق جميعاً أمثال الباروني وأن كلن مبشراً متعصباً في تدهيبر، والبستاني صاحب الدائرة، والشدياق الكاتب المعروف، والرافعي وارسلان، ثم المنصور به الدكتور صروف الذي ترك بيتنا أبلاً أثروا كذب عتوال حياته على العلم ينشره ويغذيه بالمقتطفات خسينا من الاعوام الطوال، وقد خلفه فيه من بعده وده الخد، شاب من أسرة، لا يقل عنه نبلاً في النفس وسهواً في النزعة وشجاعة في العمل وحرية في الفكر.

لسنا نقصد هؤلاء الذين تعجبهم من أحمق قلوبنا، ونضع أيدينا في أيديهم متعاونين على البر بهذا الوادي الذي ربانا وغسلنا أولاً وبالشرق العربي ثانياً، بل نقصد إلى الأبقياء المتطفلين الذين انحطت مداركهم بقدر ما أسفت منازلهم، وقبضت نباتهم بقدر ما جشعت نفوسهم، وقد تقلوا معهم إلى الصحافة المصرية العربية صورة من الصحافة الأمريكية الفاتحة على أخص الطرق الأمريكية، وهي طرق في سلب العقول والجيوب أشبه بالطرق التي كانت تتبعها العصابات السرية في العصور الوسطى، أو جمعية الكوكلوكلان الأمريكية التي تمثل روح الطفل الحديث والاجرام في أمريكا، بقدر ما تمثل الصحافة السورية الصفراء في مصر.

قد عاب علينا كثير من الأجانب أننا قم بحجاب الصحافة السورية صحافة مصرية ثبتت من الجانب التجاري، ذلك لأنهم لا يحرقون على أن يقولوا أن صحافة مصر البحتة لم تقو على الثبات بحجاب صحافة مصر السورية من الجانب الأدبي أو العلمي. على أن الذين يعيرون علينا هذا الأمر يغفلون دائماً عن أننا أعجز من أن نجاريهم في التفرير بشباب مصر وأكل السمحت من وراء اللعب بأهوائه وإيقاظ شهواته وبعث انفعالاته، ونحن إنما نريد بما نكتب أن نغرس فيه روح الفضيلة وحرية الفكر والتفكير، يغفلون عن أننا غير قادرين اشتقاقاً ورحمة ببلادنا وبشبابها وشيبتها أن نهمهم في عقليتهم وأن نطعنهم في قوة تمييزهم، فنشر لهم أسخف السخف ونزل بهم إلى أسط الدركات، ثم نقول كما يقول أصحاب الصحافة الصفراء، الجمهور لا يفهم، الجمهور جاهل، الجمهور زلط أصم أبكم، الجمهور متصرف إلى السفاسف دون الغايات العليا، الجمهور مغفل، هذه الامة حمقاء، وهذا كله تلقاء الالوف المؤلفة من الاصغر الرقان التي يدفعها هذا الجمهور المسكين ثمنا لهذا السلب العلي ١١١

اني أعيب بكل صحفي مصري خديم مع أصحاب الصحف السورية

الصغراء ، وأخذ أن جلهم فيهم من الشجاعة ما يكفى للصراحة ، أليس هذا هو ما نسمع في هذه الأمة من أفواه أولئك المتاجرين على حساب هذه الأمة ، وعلى حساب سخائها وأفراطها في حسن التية وتقبل ما يقدم إليها من الغذاء الفكرى المزوق لظاهر المسموم الباطن . لقد سمعت من كثيرين منهم أن أحد أصحاب هذه الصحافة الجهلاء الذين لا يفهمون من أمور هذه الدنيا أكثر مما تفهم آلة من آلات الطباعة التي اشتراها بعشرة آلاف من الجنيهات التي جمعها من جيب الجمهور المصرى المخفل الأحمق على حد قوله ، كتسبيرا عما ينصح إلى محروبه أن ينزلوا إلى مستوى الجمهور ، فيخفف من عباراته ، ثم يخفف من معانيه ، ثم يخفف من مواضعه ، ثم يدرس اللغة وقواعدها ومفرداتها ، ثم يكتب بالعامية الفجة ، كل هذا تحت تأثير فكرة النزول إلى مستوى الجماهير ، حتى إذا وصل المحرر إلى حد أن يكتب له — وعملك شطط جالك يطح تبدلوا به — قال له وصلت إلى مستوى العقيلة المصرية . أليس هذا أكبر الإبلاء ؟ أليس هذا أحط ما تبلغ إليه السخارة وينزل إليه الخيوة ؟ أليس هذا أبعد حد تسايح به الأمم إذ تمتن عياناً جهاراً في عقبتها ورامتها ؟ ولكن لم الحق فالأمة غلاماً جيورهم وتسبح بطونهم الشبهة بالمأوية الجهلية ، فلا يسلمهم إلا أن يشبعوها ساء ولماً وتحقيراً . وهذا هو الجزاء الحق . ولكنه مع الأسف ليس من جنس العمل

أما الحقيقة فعلى الضد مما يقولون ، فالجمهور المصرى فهم راشد يعرف الغث من السمين ، ولكنه مع الأسف الشديد كمثل جمهور تعرفه الكلمات الخلوقة ، وثرصيه إنداع الطناته . وهذا هو قناع التطفل الذى تلبسه هذه الصحافة ، فهي صحافة مصرية المصريين شعارها إلى الأمام على التوام ، وما الجهل إلا جهلهم ، وما العماية إلا عمايتهم ، وما السفاق إلى سفاسفهم ، وما التفتيل إلا تغليلهم ، وما الحق إلا حقتهم ، وما الدعارة الصحفية التي ينشرونها إلا دعارتهم ، وما البغى المشروع الذي يبرفون به أموال الأمة تلقاء صحف سوداء الباطن والظاهر إلا بغيتهم . وما خرج في جوف هذا الوادى من ربح أخته إلا وكان في أفواههم ، ولا سنت شرعة خبيثة إلا وكانوا أول واضعى دعائهما ومروجي شعارها ، ولا نشرت صور الباغيات على أنهم سيدات مصونات ، ولا الرافصات العربيات على أنهم من زعيمات الفن العالمى ، ولا صيد الفتيان للفتيات في اليم على بعض شواطئ أوروبا الاباحية على صورة يحمر لها وجه الأدب والذين يعرفون ما هو الأدب ، ولا أذيعت وذيلة الغش في الامتحانات

لعملها أولادنا، ولا حتى التنجيم ليصبح من معتقدات نشنا، ولا عرفت طريقه
 الاجرام والقتل وسفك الدماء علناً منشوراً، ولا عرفت دروس عمليه في غلقه
 القلب وفناء كل الصفات البشرية بخلة في شخصية عشقاري الجلاله، ولا عرفنا وجه
 أصحاب الدعارة في بؤر الفساد والبغي، ولا سره علينا شيء من مكائد المومسات ورقاقهن
 من الساقطين، إلا وكانت هذه الصحافة المجلوه في آخر ثوب أمريكي، على ما يقولون،
 أول من نشرها وأول من غرس أصولها في صحافتنا القومية، وبني بعد كل هذا صحافة
 مصرية للمصريين، وشعارها إلى الامام على الدوام - كلا - بل إلى الطاوية التي تحفرها
 هذه الصحافة تحت أقدام أولادنا وقلبات أكبادنا. بل أمام مستقبلنا العمالي،
 ومركزنا في الحضارة.

هل عرف المصريون شيئاً من هذا ينشر علناً ويلقى على السباب باعتباره ادباً
 عصرياً، وبالبئس هذا الأدب، وبالبئس المؤدبون، إلا على يد هذه الصحافة
 السورية الصغراء، التي جارتهم فيها ليف من فوق بل الصحفيين ودهماتهم، من الذين
 أخذتهم عدوى الطفل الأمريكية؟ على أن للمصريين من متطفل الصحفيين بعض
 العذر، فقد رأوا السبيل مبوراً والطريق معبداً فسلكوه كما سلك أبائنا طريق المعصية
 بعد أن شرع سبها ملك من ملائكة الله. يا عجبا! هذا المجد من التي بلغ بؤساء الطمع والطمع، وساغ لهم أكل السمحت
 على أكتاف أمة برمتها؟ أذكر منذ سنتين التي قرأت في جريدته، *الاورز* و *فر*،
 الانجليزية مقالة بقلم محررها الغند مستر، جارفن، الذي يعترف له صحافيو العالم بأنه
 من أعظم الصحفيين الذين ظهوروا خلال كل الأزمان وعلى أطلاق القول، جاء فيها
 أن الصحافة الانجليزية على جلال قسرها وعظمتها وأثرها ورقيا ونباها، بدأت تنحط
 وتدهور! ولماذا؟ لأن شركة يعرف أصحابها بالمناجرة على حساب التطفل الصحفي
 قد قاومت في شراء جريدة من الجرائد الكبرى يا عجبا مرة أخرى! أمن المفاوضة
 في شراء جريدة لشركة يعرف في أصحابها هذه الصفة، يعني جارفن، الصحافة
 الانجليزية، ويقول فيها انها بدأت تنحط وتدهور وأن جرائم الاعلال أخذت
 تدب في هيكلها التقليدي؟ وماذا يكون حكم مستر، جارفن، إذا تمت الصفقة لهذه
 الشركة؟ ولكن الصفقة لم تتم، ذلك لأن نبل أصحاب الجريدة ومنحو منازعهم قد حال
 دون ذلك، ففضلوا الخسارة المادية ولو أفلسوا، على أن يلقوا بجريدة انجليزية لها
 تقاليدنا التاريخية في يد شركة شأنها التطفل الصحفي على أجسام الناس، أما في مصر
 فاعكس هذه الآية وأنت تقع على القاعدة - القاعدة التي دعمها وشيد من فوقها الصرح
 الاشبح للتطفل الصحفي، سوريون من أصحاب الجرائد الصغراء.

والتجارة من بعد هذا كله حرية . نعم حرية . والله حرية حرّة . ولكننا مع هذا نقول
 ان ليست كل تجارة حرة تكون شريفة . وليست كل تجارة تكون مصرية للصريين
 وليست كل تجارة تكون الى الامام على الدوام . وهل هذا لك تجارة يكون وجه
 الكسب فيها مضمون مائة في المائة ، ووجه الخسارة معدوم بالمرة ، الا تجارة لا تنفق
 وضرورات الحياة ، كتجارة المخدرات والتعاطي في تهريب السموم البيضاء . تجارة
 تشترى بضاعتها الشهوات ، وتمتلك مواردها الانفعالات وترعاه النفس الشيطانية
 والعياذ بالله .

على اننا لا نبالغ ولا نغالي اذا قلنا بان هذه الصحافة الصفراء يجب أن تصدر كما
 تصدر المهربات . فلعنك أيها أشد اجراما ، سفاك يقتل شخصا انقاما أو طمعا ، أم
 محنني يقتل الشاب كله ويستغويه ويتعش فيه الشهوة بعد أن يستتر وراء قناع الادب
 ويرتبط فيه الافعال بعد أن يستخفي وراء ستار القضيلة ؟

والدليل الأكبر على هذا أن هذه الصحافة لا دعوة تدعو اليها ولا مبدأ تحترم
 من أجله ولا منهج تنتمي اليه . فلا شيء وجدت ومن أجل أي غرض تصدر !!
 لغرض واحد . مل . الجيوب على حساب الآداب والفضائل . وبعد هذا هي صحافة
 مصرية للصريين ، وشعارها الى الامام على الدوام . فعلى المصريين عارها ،
 ولا تعاصها عراتها المادية .

ولست أدري أصبحت جادة تلك الصحيفة التي ارتفعت هذه الأيام متاذية بالدفاع
 عن التجديد أم هازلة ؟ أغلب ظني انها هازلة . لانها لو كانت جادة حقيقة لكانت
 النظري في أمر هذه الصحافة والدعوة ضدها أحد مراميها . ولكن السهم ينساب في
 عقول الناس ، والخرافات تدس عليهم والشهوات توقظ في نفوسهم تحت عنوان حرية
 التجارة ، وحرية القول والنشر .

أ يكون هذا كله في مصر ، ثم يحرم على مصري أن يقول فيه كلمة حق أو ينقص
 عن صدقه بشيء يكتبه ؟ فإذا فعل كان المقتر على الضيوف الرامي عن قوس الغرض
 فيها يقول ، الحقود الذي لا ذمّة له ، الحسود الذي يورث لو أن مال غيره ذهب اليه !
 بهذا يقول أصحاب الصحافة الصفراء . الا فليقولوا ما يشاؤون . فصحافتهم
 صفراء ولو جرت فيها دماء شهداء الحرب العظمى كلهم . ونحن نأقدها مروجون
 ضدها داعون الى مقاطعتها ناعتوها بما تستحق من النعوت عاملون على أن ندفع بعض
 سيئاتها بما نضحي في سبيل مصر وفي سبيل العلم والآداب .

العلاج بالسائل الطبيعية

نقلنا عن إحدى المجلات الطبية

مهما تكن أرائونا بخصوص الآلام على وجه العموم ، وسواء اعتبرناها كنعمة وموهبة منحت لنا في الحقاء أو كما يستصوبه الكثير ويقولون عنها أنها نقمة ، فإننا جميعاً نوافق على أنها علامة ودليل على اضطراب في الجسم ، وعلينا بعد البحث عن مقر الألم أن نبحث عن الكيفية التي بواسطتها يمكن تخفيفه أو استئصال شأفته

والطرق التي سنوضحها في هذه المقالة لازالة الألم هي طبيعية صرفة في جوهره ولا يعقبها أى اضرار كالتى نعقبه عادة استعمال الأدوية والعقاقير الفعالة التى لاتؤدى فقط الى اماتة الألم بل غالباً تؤدى الى احداث شلل في الاعصاب

ولما كان الألم ينتج في الغالب من تراء كم بعض المواد النافعة في داخل الجسم وهي التى تهيج الاعصاب الحساسة كما هو الحال في داء الملوك والتقرس ، فالأصوب ازالة سبب الألم اذا أريد تخليص البدن منه نهائياً

ففى مثل هذه الاحوال يجب المواظبة على تطبيق الفوائد الطبيعية حتى اذا أردنا التخلص من الألم بصفة مؤقتة ، ولا يغيب عن الذهن أن الألم لم يكن فقط سبب الاحتمال بل إنه أيضاً أكبر سارق للقوة الحية ومهلك لنشاط الاعصاب فكم من مريض سببه الألم الارق وهو يصبح متألماً عقلاً وروحاً (أه لو تمكنت فقط من النوم فكم يكون اغتياطى به اذ ذاك) وهذه رغبة طبيعية مألوفة ولكن ليس من الشفقة أن يقوم الطبيب المعالج باعطاء المريض عقاراً ثميناً بقصد تنويم المريض المتألم فالطريق الطبيعى والذي لا يكون له تأثير يثبت على المجموع العصبى مفضل على الطريقة التى لها تأثير قوى فعال ولكنها مضررة ضرراً بليغاً في الوقت نفسه فقد تكون أحياناً في الرأس آلام مبرحة ولكن ذلك لا يفهم منه خطأ وجود أى خلل في الرأس نفسه فربما كان ذلك ناتجاً عن تأثير انعكس على الاعصاب مسبب عن بعض اضطراب في جهة أخرى من الجسم

فإذا أمكن اسعاف المريض بالشفقة وألم التقرس بطريقة بسيطة كالتى نصفها فان المريض يزداد ثقة وإيماناً في الطبيب المعالج ولا يخالفه فيما يقترحه عليه لانتمام تخلاصه من السبب المباشر للألم المعين

وقد يباشر الطبيب علاج الكثيرين ولكن اذا لم يتمكن من أقتاعهم بتغيير

طريقة معيشتهم دفعة واحدة ، فمليه أن يكون حكيماً كالخيل ووديعاً كالخمان ، وينعمل الطرق التي توافق ذوق المريض والتي تؤثر عليهم حتى يثقوا بقوة شفاء الطبيعة . والطريقة التي نصفاً هنا للتخلص من الألم معروفة بطريقة العلاج بالمناطق وقد نشأت هذه الطريقة في أمريكا كما نشأ غيرها من الأشياء الكثيرة التجربة فيها وهي غير منتشرة الآن هنا . وأما في أمريكا فهي متداولة جداً فالدكتور فينجراند الذي وضع مصطلحات هذه الطريقة الجديدة وغيره من الأطباء الذين يستعملونها في العلاج قد نجت الآلاف المؤلفات من المرضى الذين كتبوا لهم خطابات شكر على هذا الجهد العظيم وعلى تفصلهم من الآلام بسببها . ويوجد ما يربو على خمسمائة طبيب من أطباء الأسنان ومن أطباء أمراض العظام يستعملون هذه الطرق الجديدة بتجارب نام لمريضاتهم .

وليس هناك أي خطر من استعمال هذه الطريقة ، وليس لها نتائج رديئة وربما كانت سبباً في تحسين الصحة ، فضلاً عن التخلص من الآلام ، والرجاء أن يميل كثير من العقلاء لدراسة واستعمال هذه الطريقة لأنفسهم وللذين يودون مساعدتهم فهي عبارة عن البساطة المتناهية إذا قارناها بالطرق الأخرى ويمكن لكل إنسان أن يتعلمها بنفسه ويستعملها وهي تشفى من أمراض كثيرة فضلاً عن التخلص من الألم ، وتخلص في أن يضغط الإنسان على الجزء الذي على مركز الألم أو في نقطة مماثلة على الأصبع أو الإبهام أو الركبة أو الكوع أو المرفق البعيد عن مركز الألم ولكنه يكون واقعاً في نفس منطقة

لما الذي نعمله عندما يصطدم كوعك أو أي جزء آخر من جسمك بجسم آخر صلب ؟ أنك تملك فوراً ذلك الجزء وبذلك تمنع وجود حالة زهرورية في الدورة Venus Stasis وهي الحالة التي تقف بها العروق أو الأعصاب المرضوضة كالسد في طريق الدورة الدموية وينجم عنها ما يسمونه بحالة (السواد والورقة) ولاجل توضيح هذه المسألة يجب فرضاً تقسيم الجسم إلى عشرة مناطق وتجري هذه المناطق في جانبي الجسد في كل جانب خمسة ونبتدىء هذه المناطق من إبهام القدم إلى إبهام اليد مثلاً المنطقة الأولى تمتد من إبهام الرجل إلى أعلا الجسم من الامام والخلف في الصدر والظهر والبراع لغاية إبهام اليد والعكس بالعكس . فمعالج الألم الموجود في أي جزء من المنطقة الأولى بالضغط على المفصل الأول لإبهام الرجل واليد ويشعر الضغط بمعدل نصف دقيقة إلى أربعة أو عشرة دقائق حسب شعور المريض .

فإذا كان المريض يشكو من برد في رأسه فمارس بالضغط على الإبهام أو الأصابع التي تنهى بالمنطقة الحاصل لها الألم فيحصل التأثير بذلك إلى المنفعة الانفية ويشفى بهذه الطريقة الصداع الناتج من حالة عصبية : أما إذا كان ناتجاً عن تسمم في البدن الناتج عن تعفن باطني فلا ينجم هذا العلاج ولكنه يخفف الشيء الكثير من الألم على كل حال . وهذا العلاج تشيط جداً وتري من اللازم على كل فرد أن يعرفه خصوصاً الامهات اللاتي يتمكن بواسطته من معالجة أنفسهن ومعالجة أولادهن عما لا يكلفهن شيئاً . اللهم الا إذا كان الألم ناتجاً عن مرض عيني أو التسمم الذاتي أو الامراض المزمنة الاخرى فلا يمكن بواسطته الحصول على نتائج حاسمة

ولاريك كيفية العمل بهذه الطريقة حادثة وقعت لطبيب مع سيدة أغشى عليها من شدة الألم في رأسها فانه مارس تلك الطريقة على منطقة العنق من العمود الفقري فعادت الى رشدها وتمكن الطبيب من ازالة الامها حتى عادت إلى عملها في نفس اليوم ولم تشعر بعدها بالألم وزال بالكلية حتى كأنه لم يكن .

ولا شك أن هذه الوسائط لو عرفت قدرها العقلاء لأمكن شفاء الآلاف من حالات الصداع بها وبدون الرجوع إلى تأثيرات المخدرات أو المنومات .

وأمثال هذه الكيفيات والطرق تستعمل في علاج أنواع أخرى من الامراض كالجحوظ وأمراض العين والتسمم وتصلب الاعصاب وغيرها

ولكن لا نقض مما تقدم أن طريقة العلاج هذه تنجح في جميع الامراض ولكن استعمال هذه الطريقة بالروية والعقل قد تكون من أنجح الطرق للاخلاص من الألم ومن المتاعب الجسدية



الحاجات الزراعية على

عملية الانتشار

لذا وضعت في الماء مادة قابلة للذوبان فإنها تنوب فيه ، وبعد زمن توزع بالتساوي في هذا الماء وهذا هو الذي يسمى عملية الانتشار أي جولان جزيئات المادة تدريجياً بين جزيئات الماء . أما عملية الانتشار الغشائي ، الاسموزي ، فهو انتشار متعادل يحصل بين بعض السوائل وبعضها بواسطة غشاء مخصوص حتى تكون على نسبة واحدة في ظاهر الغشاء وباطنه . ومثال ذلك أنه إذا وضع محلول قوي من مادة في أديم قاعه الأسفل غشاء ثم وضع هذا الأديم في آخر فيه محلول ضعيف من هذه المادة أو ماء نقي بشرط أن يكون الغشاء منفذا لجزيئات المادة والماء معاً ترى بعد زمن أن المحلولين يصيرا ذا قوة واحدة لمروى الماء من المحلول الخفيف إلى المحلول القوي من جهة وتمرير جزيئات الجزء الثاني إلى المحلول الضعيف من جهة أخرى ومن حيث أن مرور جزيئات الماء يكون أعظم من مرور جزيئات المادة فيزداد حجم المحلول المركز أو بعبارة أخرى يمر الماء من الضعيف إلى القوي ، أما إذا كان الغشاء غير منفذ للمادة الذاتية ووضع في الأديم الخارجى ماء نقي قبل التسجيل أنت يصير المحلولان متساوي التركيب لأن الماء يستمر توافده لجهة المحلول القوي فيتراكم هذا المحلول على جهة من الغشاء فيزيد الضغط عليها حتى يصير مساوياً لقوة مرور الماء من الغشاء وحينئذ ينفذ مرور هذا الماء أو بعبارة أخرى تكون كمية الماء الداخلة مساوية لكمية الماء الخارجة من جهتي الغشاء . على أنه لا يوجد غشاء غير منفذ تنفيذاً تاماً للمواد الذاتية إلا أن بعضها قد يكون بطيء التنفذ لها جداً ، وهذه العملية من خواص الطبقة الحية ، البروتوبلاسمية ، لزغب الجذور فهي تنفذ الماء كثيراً من الأملاح الذاتية في ماء الأرض بسهولة إلا أن كثيراً من المواد الذاتية في العصارة الخلوية يكاد لا ينفذ منها .

الانتشار الغشائي ، الاسموزي ، :

هو الاسم الذي أطلق على الظواهر المذكورة وله دخل عظيم من مرور جزيئات السوائل والأجسام الصلبة الذاتية داخل الأغشية ولا بد لحصول العمليات المذكورة أن يكون السائلان أو المحلولان قابليين للاختلاط معاً وأن يكون الغشاء منفذاً على

الأقل لواحد منهما وعليه فلتطبق هذه الحالة على زغب الجذور في الأرض نقول :
 تحول العصارة الخلوية يكون عادة أقوى من غناء الأرض وحيث يكون دخول
 الماء في الخلية أكثر من خروجه منها أي أن هناك مروراً من الداخل . ومن حيث
 أن المواد الذائبة في ماء الأرض قابلة للانتشار فهي تمر إلى داخل الخلايا مع الماء .
 وبهذه الطريقة يحصل النبات على المواد المعدنية الضرورية لنموه فيعبر الماء والمواد
 الذائبة المنتمية لهذه الكيفية داخل النبات متجهة إلى المواضع النامية ويخرج الجزء
 الزائد من الماء الذي لم يدخل في تكوين جسم النبات في النهاية بواسطة البخر الباقي
 ومن حيث أن النبات ينفذ الماء دائماً بهذه الكيفية والمواد الذائبة في العصارة الخلوية
 لا يمكنها الانتشار إلى الأرض فينتج من ذلك أن تحول العصارة الخلوية يكون دائماً
 أقوى من الماء الأرضي وعلى ذلك يستمر مرور الماء إلى الداخل .

وكثير من الأملاح عند دخولها في النبات تتحول إلى مواد أخرى غير قابلة
 للانتشار إلى الخارج تالياً فيستمر دخول هذه الأملاح إلى النبات ومع ذلك فلو بقيت
 المادة التي أخذها النبات بلا تغير لراكمت في العصارة الخلوية بعد زمن وينتج عن
 ذلك حصول انتشار إلى الخارج يعادل في النهاية الانتشار إلى الداخل .

ومع ما ذكر من المواد الذائبة في العصارة الخلوية لا تمر إلى الخارج بواسطة
 الطبقة الحية فإنه يحصل بعض الانتشار إلى الخارج ويحتسب الكربونيك أشهر المواد
 التي تنتشر إلى الخارج وهو يساعد كثيراً في إزالة الجزئيات الأرضية .

أما الأراضي المملحة فالأمر الأرضي يكون فيها محلولاً قوياً نوعاً فبغلي مروره إلى
 داخل النبات وهذا التحول أقوى تدريجياً بحفاف الأرض فيمكن حصول انتشار إلى
 الخارج في زمن ما وهذا مضر جداً بحياة النبات ومن ذلك تظهر أهمية وجود ماء
 الري بكمية كبيرة في زراعة الأراضي المملحة .

والماء الذي يمتصه النبات لا يؤخذ فقط من الجزئيات المجاورة للجذور مباشرة
 بل يؤخذ أيضاً من الجزئيات البعيدة . ولتوضيح ذلك نذكر إلى ما يحصل في مجموعته
 جزئيات من الأرض يمس بعضها البعض الآخر . فإنا وصل الماء إلى هذه الجزئيات
 يتوزع عليها داخل المسام وعلى سطوح هذه الجزئيات بالتساوي . ويحصل ذلك بتأثير
 التماسك السطحي وهو خاصية في السوائل لا يمكن شرحها هنا شرحاً كاملاً . ولكن
 عليها يتوقف التأثير السطحي للسائل فإذا زال الماء من أي جزء من هذه المجموعة
 اختل التوازن وتوارد الماء من جميع الجزئيات الأخرى نحو الجزء المذكور . وعلى
 هذه الطريقة نحينا منص الماء زغبة جذر من جزء ملتصق بالطبقة الغروية بها يحدث
 تيار من الماء من كل جزء آخر مجاور له نحو هذا الجزء . وعليه فيمكن اعتبار كل جزء

من الأرض كأنه متصل بالجزء الآخر في هذا الوسط من الماء. ومرور هذا الماء من جزء لجزء يربنا كيف يكون النبات قادراً على امتصاص الماء من الأرض الجافة. وكيف يمكن أن يتغذى من الاجزاء التي لا تلامس جذوره أبداً بنوبات هذه الجزئيات تدويرها في الماء الأرضي وحينها تكون الأرض فتحة يمر الماء بسهولة بين جزئيات الأرض ولكن متى جفت كان المرور أصعب من حيث أن الطبقة الرقيقة من الماء تكون ألصق من الطبقة السميكة منه. فالنبات يمكنه أن يأخذ ماء كثيراً من الأرض ولكن لا يمكنه أن يمتصها ببطء تاماً لأنه باقى وقت يسير فيه حركة الانتشار العشوائي، الأسحورس، عن التغلب على الجذب الواقع بين الماء والجزء.

وفي الأراضي الخصبة لا بد من وجود مسافات مملوءة بالهواء دائماً حيث يذوب الماء الأرضي ويحمله إلى النبات وليس في الأراضي المزروعة أرواً هذه المسافات المشبعة بالهواء لاستمرار ديمها ولكنه يعوض بالهواء الذائب في الماء الجاري المستعمل في ري هذا النبات وجراثيم الأرض تعيش في الماء الأرضي وفي المادة العضوية الرطبة. ولا شك في أنها تتحرك في المسافات الكبيرة التي بين جزئيات الأرض.

نرى الزارع متى اشترى أرضاً يحد فيها كمية من المواد الغذائية. والبر تكون صالحة كثيراً أو قليلاً لتوليد المحاصيل وكذا يكون فيها بعض الجراثيم لتحضير الغذاء النباتي ثم هو بعد ذلك يطلب وجود الماء ويسرب العرين سنوياً (في أراضي الحياض) ليعوض على الأرض ما فقدته بنمو المحاصيل فيها. وهذا العرين شرط ضروري في استمرار خصوبة الأرض. أما في أوروبا فيقوم مقام الرسوب السنوي الاحجار التي تفتتها المؤثرات الطبيعية فتغطي الأرض مواد جديدة معدنية.

عمارة الأرض (فلاحتها)

قد بحثنا في مقالنا السابق عن علاقة الأرض بحياة النبات وفي هذا الكلام نبحث عن عمارتها واستغلالها. ومن الضروري أولاً أن تبين الفرق بين سطح الأرض أي الطبقة التي نتحرث ونخدم وبين الطبقة السفلى منها وهي التي لاتصل إليها عمليات الفلاحة.

الطبقة العليا تسمى (الأرض) والسفلى تسمى (تحت الأرض) . فالسطح الذي تحت الأرض وهو الذي يسير عليه سلاح الحراث عند فلاحه الأرض يكون أكثر اندماجا

ويختلف غور الطبقة الأرضية بين ستة عشر و بين عشرين سنتيمترا ويكون

متغيراً على حسب غور الحرارة . وتحت الارض عادة أكثر عمقاً مما يحتاج اليه نمو النبات .

أما في القطر المصري فإن الارض وتحت الارض يتشابهان تشابهاً كلياً في الصفات ومع ذلك فبينهما بعض الاختلاف واللام يكن هناك تأثير للخدمة المستمرة على الارض ومن النادر أن تكون الاجزاء المعدنية المكونة للارض وتحت الارض متساوية بالضبط في الخواص . ولهذا ترى اختلافاً ظاهراً بينهما في النموذج المبين بعد حتى ولو تساوت أجزاءهما المعدنية في التركيب . فإن الارض تحتوى على مقدار من غذاء النبات الصالح أكثر من تحت الارض للأسباب الآتية :

أولاً . أن الارض لم يحضر على تكوينها زمن طويل ولم تبذلها كثرة المحاصيل فهي محتوية على مواد غذائية أكثر من تحت الارض .

ثانياً . أن الارض يتجدد لها بعض المواد الغذائية من مياه القطر ورواسب النيل والاسمدة وما يبقى فيها أو عليها من جذور النبات أو مرقه وأوراقه الميتة .

ثالثاً . أن المواد الغذائية في الارض تكون أصلح لغذاء النبات لأن المؤثرات الطبيعية تكون أكثر قاعلية بالقرب من السطح .

رابعاً . أن النباتات البقولية المحتوية على الجراثيم التي تمتص الآزوت محصورة عادة في الارض فيغالبها المحتوية على كثير من هذا الآزوت تربتها خصوبة .

خامساً . أن الارض كثيرة الهواء قليلة الصلابة فالجذور فيها أكثر نمواً أحسن صحة .

ولأن تحت الارض لا ينجم فهو أصعب منها . ولوفرص أن مجموع المواد الغذائية فيها مساو لما في الارض كما يحصل في أحوال مخصوصة فإن الغذاء الصالح للنباتات بها يكون أقل نظراً لبطء التأثيرات الطبيعية فيها وأجود أنواع تحت الارض هي الصفراء الخفيفة . أما الرملية فتكون فيها أقل من اللازم كما أن السوداء تكون رطوبتها أكثر ويتعثر على جذور النبات أن تنمو بها نمواً جيداً

وطبيعة الارض شرط مهم في عمارتها ونمو المحصولات فيها .

فالاراضي في القطر المصري أما صفراء (طينية) أو رملية أو سوداء (طينية) وعلى العموم فالصفراء هي الغالب . أما السوداء فلا توجد إلا في أماكن قليلة . والرملية توجد على العموم في الواجر والجروف . وليس هناك خلاف كبير في

تنجح نجاحاً تاماً في الأرض الرملية إذا سمحت تسعبداً جيداً ، وكثراً الحناء والشعير
والسمسم تصلح في تلك الأراضي كما أن الأذرة الرفيعة لا تحتاجها لأرض قليلة الرطوبة
تنجح في الأرض الرملية الحاجة أكثر من الأذرة الشامية.

خواص الأراضي السوداء

أما خواص الأرض السوداء فهي مضافة بالمرّة لخواص الأرض الرملية .
فالسوداء الخالصة عادة أرباً للأراضي عند الزراعة لأنها صعبة الخدمة رديئة المحصول
أما السوداء الخفيفة فليست مكروهة كالأولى . وخاصية حفظ الماء في الأرض السوداء
كبيرة جداً ولا ينفذ فيها الماء . وإذا هي غالباً رملية يكفيها قليل من الماء . ومع ذلك
فيمكن رباها رباً غزيراً إذ ليس هناك كبير خوف عليها من التصريف المتوالي
والخاصية الشعرية فيها عظيمة لكنها بطيئة وإذا جفت تشققت تشققات يضر نمو
المحصول . ومن حيث أنها باردة فتبوءتها رديئة ولصعوبتها يكون من النادر أن نخدم
خدمة جيدة معها عمل فيها فتحتاج إلى كثير من العرق حتى يغل تشققها وإذا لم نخدم
خدمة جيدة فإنها تصلب وتضيق قطعاً كبيرة صعبة التكسير وإذا خلطت رمل تولد
عنها أرض صفراء ذات خواص طبيعية مناسبة

وفي الأرض السوداء عادة كثير من الأغذية المعدنية إلا أنها لشدّة حفظها له وقلة
الهواء فيها يكون مقدار الغذاء الصالح فيها قليلاً غالباً وتأثير السيل فيها بطيء جداً
ويناسبها السيل البليد لأنه يجعلها رخوة . ويمكن استعمال الاسمدة الفوسفاتية وبأن أي السريعة
التأثير في هذه الأرض بدون خوف من فقدتها . ورطوبة هذه الأرض وبرودتها
واقترانها للهواء يجعلها غير صالحة للنبات ويؤخر نمائها وهي في الواقع لا تلائم زراعة
الفواكه أو الخضراوات . ويمكن زراعة الترمس والبرسيم الحجازي والبرسيم البليد والخلبة
والجلبان والفول في الأرض السوداء الفقيرة للأزوت لأن مصارفها قليلة ولأنها
ترعى هذه الأرض وتغنيها بالأزوت . أما القمح والقمح والقمح والقمح والقمح فيمكن
زراعتها بنجاح في الأرض السوداء المعتدلة

عبد المجيد سيد احمد

كروكي

٢٤ ساعة من حياة امرأة



أي امرأة يمكن أن تجعل ٢٤ ساعة من حياتها أمثلة وقصة لسائر النساء ؟
المرأة الطاهرة وهي مثل بين ملايين من الامة المتشابهة التي تألف منها قطعان
المصلحين والهداة من كل المذاهب ؟

أو المرأة الدنيوية وهي مثل شاذ بين ملايين الامة البشرية التي تنور عنها
بالتطبع والعادات وأسلوب الحياة ؟

ويقول مؤلفات، انه ليس للمرأة الطاهرة قصة !

ونحن وإن كنا لا نريد أن نروي قصة **واكتا نري انت** ٢٤ ساعة من حياة
امرأة دنيوية لا نصلح أن تكون قدوة للجيش
المرأة الدنيوية مثال شاذ ؟

بلى . هي كذلك . ولكن أي امرأة في حياتنا المعاصرة لا تريد أن تكون في
أسلوب حياتها امرأة دنيوية ؟

بل أي امرأة في عصرنا لا نضم مع خلقها الطاهر رغبة حادة في أن تكون لها
أساليب المرأة الدنيوية ؟

الطهارة في الفطرة أي أنها بلا ثمن !

ليس للمرأة الطاهرة قصة . لأن الطهارة ما زالت في العرف العام ضربا من
اعتزال الحياة .

على أن الحياة الدنيوية في بلد قليل المسرات مثل مصر لا تنافي الطهارة .

من يتخذ الدين قانون حياة لا يستطيع أن يكون دنيويا .

ولكن الطبيعة تسوقنا الى الحياة الدنيوية لأن أساسها التطور .

أما الدين الذي يرسم الاحوال الشخصية فإنه يحول دون التطور . من أجل ذلك

كانت القوانين الموضوعية وهي ثمرة تطور العادات .

ولما كان الدين في فطرة المرأة كانت دنيوية حياتها ضربا من الشذوذ .

غير أن هذا الشذوذ نفسه يخدم القوانين لأنه عنصر تطور في الحياة .

أعلنون أي فارق بين ٢٤ ساعة من حياة امرأة ذنبوية و ٢٤ ساعة من حياة امرأة طامرة ؟

وبأي مقياس يمكن أن يقاس هذا الفارق ؟

إن كل ظل التأخر الاجتماعي ترجع الى ذلك الفارق .

فكروا في أن الاغلبية الساحقة من الرجال لا تطيق البقاء في البيوت ؟

لماذا ؟

كيف يمكن أن يقال أن المرأة شقيقة روح للرجل ؟

ما هي الصفات الرئيسية التي تجعل المرأة أهلاً لأن تكون شريكة حياة للرجل ؟

لاشك في أن هذه الصفات غير متوفرة في زوجات تلك الاغلبية الساحقة من

الرجال من أجل ذلك تراهم يطبقون البقاء في بيوتهم .

والبيت كما يعبر عنه الأوروبيون معنى للرجل غير ذاتي الرجل ومفناه ومكتبه وموطن

سروره وأمنه ولذته .

كيف يبعد عنه أغلب أوقات حياته ؟

٢٤ ساعة من حياة امرأة ؟ أي امرأة ؟

أهي المرأة التي تشغل بالادب والكتابة ؟

إنها لا تزال في مصر عصفوراً نادراً ، ولو أنها موجودة بالمعنى الذي يعترف به

الادب لكنت قصة ٢٤ ساعة من حياتها أشبه شيء بقطرة

في نورا ستايا ، في كاس حياة الجمعية .

المرأة الكاتبة لا تكون قدوة إنما هي ترسم القدوة .

قيل أن ، أونورية بوزاك ، سيد الروائيين الفرنسيين كان في غضون المدة التي

ألف فيها ، الكوميديا البشرية ، يتلقى في البريد ملفات عديدة تشمل المذكرات اليومية

لطائفة كبيرة من النساء .

فلو أننا استعرضنا الشخصيات المتعددة التي خلدها ، بوزاك ، في الكوميديا البشرية

وقد صورها كما ركبها الذاتي في كل حالاتها كأنها حبة تعيش بيننا ، فأي شخصية

نسوية يمكن أن تمثل بأربع وعشرين ساعة من حياتها ؟

ومصر ما زالت خاضعة لتقاليد الحجاب تغير طباعها عن الخلطة بين الرجال والنساء ولم يتكون بعد المجتمع المصري تكوينا صحيحاً .

ولما تمهد مصر الى الآن فضائل عملية تعين عليها الحكومات من نوع الجوائز التي تنكحها بها الفضيلة وكافأها الاحسان والمروءة المنقطعة النظير ونكافأها بمساواة المرأة وتضحياتها الخ .

فكيف يمكن أن تختار المرأة التي تشغ من ٣٤ ساعة من حياتها قدوة لسانر الفساد ؟ إن كل ما يصدر عن المرأة في مصر من ضروب البسالة والنصحية والمروءة تظل مكثومة بين جدران البيوت .

من أجل ذلك لم يكن للبصرية قصة لأنها محجبة

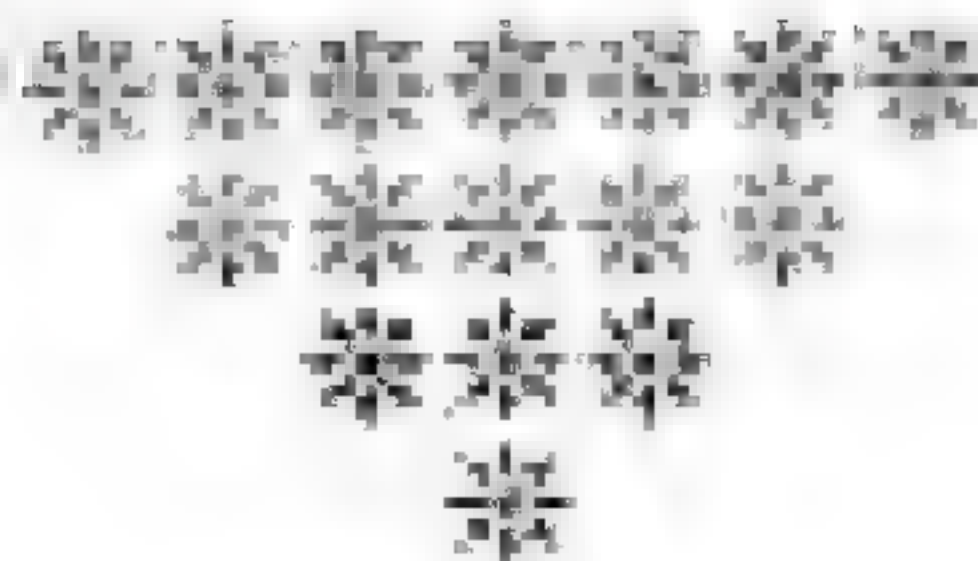
قال متى يظل هذا الشرف القديم محجياً ؟

٣٤ ساعة من حياة امرأة ؟ أي امرأة

هذا سؤال موجه الى القراء

أرب

ARCHIVE



دولة سياسية يهودية

في فلسطين

بقلم ياركر ايتش القاضى بمحكمة مصر المختلفة

حينما دخلت قوات النبي القدس في التاسع من ديسمبر سنة ١٩١٧ كان عدد سكان فلسطين على وجه التقريب ٧٠٠ ألفا من العرب وسنين ألفا من اليهود . ومن هؤلاء العرب ستائة خمسة وعشرون ألفا من المسلمين أى الاغلبية الساحقة . أى أن علم الاسلام نشر فوق الاراضى المقدسة منذ القرن السابع خلا الفترة القصيرة التى ساد فيها الصليبيون . ولم يضطرب اتباع محمد اليهود أو يمسوهم باذى أو يلحقوا بهم سوءا في وقت لم يعرف العالم الاسلامى شيئا من مبادئ التسامح الدينى . أى أن اليهود عاشوا في سلام ووثام قرنا تلو قرن حينما كانت كلمة الاسلام هى القانون السائد وذلك راجع الى حكمة عمر الخليفة الثانى (قد بس بولس العالم الاسلامى)

إذ ابتكر عمر حلا شريفا انسانيا لمعضلات زمانه وبدأت تلك السياسة الرشيدة في القرن السابع المسيحى . بيد أن واضعى سياسة الانتداب البريطانى لفلسطين كانوا على جانب عظيم من جهل الاسلام جهلا يقرب من سذاجة الطفولة بقدر حسن نياتهم وبهذا فاضوا على هذا البناء البديع بين يوم وليلة فضحوا بالدم اليهودى على مذبح مؤسس على حسن النية بنته أيدى غشيمة . وقد تلقى عمر الهامة من رسالة القرآن . إذ يقسم كتاب المسلمين المقدس . الكفار . الى قسمين أولها . غير المؤمنين . أو الوثنيين . ومصيرهم القضاء عليهم وقد حث النص المقدس الرسول على قتالهم إذ مصيرهم جهنم وبئس المصير .

الكتابيون أو أهل الكتاب من المسيحيين واليهود فخص القرآن فيهم ليس بمثل سوء المصير .

ولكى لا يحتق انسان على الاسلام مثل هذه اللغة المهاجمة تقتبس من الانجيل متى (٢٨ — ٤٢) قول المسيح : « لا تسكروا أنى جئت لابعث السلام على الارض . لم أجيء لأرسل السلام بل السيف » وفي الحروب التى أشهرها محمد وأبا بكر وفي أوائل حروب عمر كان يعادى السفار والمناقون والاسلام

وقد سحبت الفرصة هؤلاء الأعداء أن يملؤوا قبور الشهداء يد أنه يسقط القدس
تغير الموقف إذ أن العدو المهزوم كان أمة متحضرة كبيرة العدد ورائدهم الكتاب
المقدس والتسكيل بهم ليس من حسن السياسة في شيء فاستعالت الضرورة عند القاهر
فضيلة ، وأرسل في طلب البطريرك المسيحي مخاطبه القائد السياسي قائلاً : « لتعش أنت
ورعينك على شريطة أن تظنوا بعزل عن المؤمنين الحقيقيين وتدفعوا الجزية » وهذا
الاقتراح عاد بخير النتائج . فأصبح البطريرك ليس بالراعي الروحي فحسب بل الراعي
السياسي فوق ذلك . وكان محور السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وفرض
الضرائب على بني ملته وحدد جزية المسلمين واقطعت الاتاوات التي كانت تجبي
للخليفة من رعاياه المسيحيين الذين اعفوا من الخدمة العسكرية

فصاروا في زمن الحرب أولى ثروة ثم أعطيت مثل هذه الامتيازات لليهود وصاروا
شبه مستقلين وكان ثمن تفوق المسلمين عبوديتهم المالية إذ احتقروا التجارة وأهملوا
الزراعة وفضلوا السيف على القلم . أي أن المسيحيين ويهود فلسطين (ماعدا
الصهيونيين) أثروا في ضعتهم فلم يكونوا بالأغنياء إذ كيف تستخرج الذهب من
صخور يهوديا ! بيد أنهم كانوا أحسن حالا من المسلمين الحاكمين الغالبين فصارت
منفعة الدولة كسفية ملأت المياض فاشها بقردها وبأن مسلم ولكن اليهود والمسيحيين
هم أولو الامر في مكتب الصراف والتخزين !

وبما يؤسف له أن جمل سياسة الحلفاء الذي ينطوي عليه الاستبداد البريطاني
لفلسطين يحوي في مبناء جرثومة أراكة النعناء أوجيش بريطاني هائل العدد والعدد
أن خطأ مجلس العصبة يظهر أكثر شذوذاً مما تعرف . فما كان على السادة الذين لعبوا
بالنار في سان ريمو إلا أن يدرسوا التاريخ ليعرفوا أن المسلمين أكثر شعوب الارض
مماحة على شريطة أن تضعهم عند مركز القيادة حتى ولو كان الشخص الآخر هو
الذي يتولى القيادة . وكان الواجب أن يكون التطور لا الانقلاب هو النعمة السائدة
في السياسة الغربية في البلاد المقدسة .

وهناك عامل آخر يدعو لندن إلى الحيلة والحذر أراء هذه الاغلبية العربية الساحقة
وقد يحذر بنا أن نذكر أنه سرعان ما انضمت تركيا إلى دول الوسط حتى اتجهت
سياسة الحلفاء الحربية إلى اغراء العرب .

على أن يهوا لقتال تركيا وقد فعلوا ذلك بعد الاتفاق مع بريطانيا وكان شريف
مكة هو حامل كلمتهم كما كان السر هنري مكماهون لسان حال بريطانيا وقد جاء في

إحدى هذه الخطابات بتاريخ ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ ، بمقتضى السلطة المخولة لي من حكومة بريطانيا صرح لي بأن أفضي بما يأتي وأقدم التأكيدات الآتية : أن بريطانيا مستعدة للاعتراف باستقلال العرب وتعتديهم في ذلك داخل المناطق المحددة بالحدود التي يقترحها شريف مكة .

وقد يحسب بنا أن تذكر أن بريطانيا لم ترض بالسياسة التي رسمها الزعيم العربي ثم ما كان من عدم رضوخ الأخير . ولما كان الطرفان متفقين على هزيمة الأتراك ثم الاتفاق الذي أكدت به حكومة لندن أن بريطانيا لا تقوى أن تعتمد صلحا بشروط لا يكون من بينها استقلال العرب من السيطرة الألمانية أو التركية شرطا أساسيا ، بيد أنه إذا احتاج الأمر إلى مساعدة العرب لهزيمة الأتراك إلا أنه من ناحية أخرى رأت حكومة دوننج ستريت أن مؤازرة اليهود الصهيونيين شرطا أساسيا لمرونة مقايض الكيس في السبي ولذا حذر بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ خطابا التاريخي (تصريحه المشهور) .

والذي يظهر أن نصوصه المتخدة في هذا التصريح لم تؤلم عواطف الزعماء العرب لما طبع عليه الإسلام من الساحة ولعلمهم أن أجدادهم آمنوا اليهود على حياتهم وأموالهم ومنعهم موطننا . بينما كانت المسيحية تمتد في اضطهاد اليهود . ولعلمهم فوق ذلك أن لليهود — اليهود الصهيونيين — موطناً في فلسطين . وبدأ أولوا هذه اللغة أنها لا اضطهاد اليهود قرونا فاعذا التصريح الا وعد من جورج الخامس أنه لن يفسح على منوال أدوارد الأول . وفصاري القول أن العرب أولوا هذا التصريح بأنه دليل على عدم ثقة اليهود بالمسيحيين فحسب . وأن زوال العلم الترنى لن يرجع الساعة إلى الوراء أي أنه لم يخطر ببالهم خطر . أن هذا التصريح مضاد للاستقلال الذي أؤكد لهم ولما سلت القوات التركية بمساعدة العرب أصدرت رئاسة القوات الانجليزية

الفرنسية تصريحاً في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ مؤاداه : . أن الغرض الذي وضعت فرنسا وانجلترا نصب أعينها في مواصلة الحرب في الشرق (تلك الحرب التي أشهرتها ألمانيا) هو تحرير الشعوب التي ظالما ظلمها الأتراك وتأسيس الحكم القومي والادارة القومية المستعدة سلطانها من اختيار هذه الشعوب اختياراً حراً بكامل حريتها . فكما أن المسلمين عيأوا ملجأ حصيناً مأموناً لليهود المضطهدين من المسيحية في الماضي كذلك وجود سبائة وخمس وعشرين الفا من المسلمين من ٧٦٠ الفا من السكان معناه أن الوطن القومي اليهودي الذي نص عليه تصريح بلفور أصبح مكفولاً

ان عهد عصبة الأمم ناصر مبدأ استقلال عرب فلسطين . وقد نص على ذلك في الفقرة الثانية والعشرين من معاهدة فرساي اذ صرح : **أَنَّ أُمَمًا وَجَمَاعِيَّاتٍ كَانَتْ خاضعة لتركيا وصلت الي مستوى من التقدم والرفق بحيث يمكن أن يعترف بمبدأ وجودها كأُمَمٍ مستقلة خاضعة للتصحية الادارية ومساعدة الدولة المنتدبة الي أن تصبح قادرة على النهوض وحدها .**

ثم ما كان من أن فلسطين صارت واقعة تحت الانتداب البريطاني . وقد يدهش الانسان عند مراجعة هذا الصك كيف انه لا يتجه نحو تمكين فلسطين من النهوض وحدها أو انشاء وطن قومي لليهود بل يتجه الى تحويل فلسطين الى موطن للشعب اليهودي . ويظهر أول الامر ان ذلك لم يحرك شواجن الاغلبية العربية التي ما فتى المسلمون والمسيحيون أن يذكروا :

(١) اتفاقية ١٩١٥ مع انجلترا .

(٢) اشتراكهم الفعلي مع جيوش اللقي

(٣) التصريح الفرنسي الانجليزي في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨

(٤) نصوص عهد العصبة .

فظلوا متواصين بالنصر واثقين بعدالة قضيتهم .

وعند ما رأوا أنهم أدجموا مع اليهود في وحدة سياسة واحدة ، وإن مندوبيا ساميا يهوديا ومدعيا عموميا يهوديا نصبا عليهم بدأت تثقهم في روح الانصاف الغربي تزعزع ، وسواء أكانوا محققين أو غير محققين فالواقع انهم شعروا بالخيانة . فلبا بدأت الادارة الفلسطينية في سن القوانين لتشجيع مهاجرة اليهود واستيراد عناصر اعتقد الزعماء العرب عن صدق حسن واخلاص انها ملوثة بالبلشفية انقلب الموقف بهذا بأسوأ المواقف وزاد ذلك الغيرة الدينية . ولما انقلب الانتداب على فلسطين الى إذلال المسلمين أمام اليهود والقضاء على البناء الاجتماعي الذي شكله عمر صار واجبا على المؤمنين أن يشهروا الحرب على اليهود .

ثم تذكر عرب فلسطين المسيحيين انجيل متى فأزرروا المسلمين العرب وتساندوا وضمعوا صفوفهم وسلاحهم والنتيجة انه لولا الحراب البريطانية نهزم مبدأ تقرير المصير لما سلبت رتبة يهودى في فلسطين . وهذه العواطف يترج بها العطف على مجرورات يهود فلسطين الطائشة واحترام العناصر اليهودية غير الصهيونية في أمريكا فقصر سكان فلسطين اليهود في أيدي اليهود الامريكيين غير الصهيونيين .

ان الصهيونية تفشل رائع وانف ما يقال عن تحويل فلسطين الى وطن قومي للشعب اليهودي صار ممكنا بفضل ما يقال عليه .

الاتحاد غير المقدس بين الذهب اليهودي الامريكى غير الصهيونى والبارود والرماس البريطانى . فلو توقفت تيار الذهب من أمريكا لرأى يهود فلسطين ضرورة سحب انجلترا لهذا التصريح ولو نقلت الجنود البريطانية أو قلل عددها قليلا عظميا لصار عدد ضحايا اليهود رائعا . ولو تردد يهود أمريكا غير الصهيونيين فكان عليهم أن يسألوا أنفسهم ما كان مصير العبيد السابقين في الولايات الجنوبية بين أمريكا ما دام الشمال على جهله واصراره على هزيمة تصميم الجنوب . فتشأ من ذلك زيادة الاقليات بين السود ولم يكن لأحد منهم صوت سياسى فى إحدى عشرة ولاية . واتى أصرار ان حسن النية اذا اقترن بالجهل صار معجبة للشقاء فى العالم .

وما مصير الادارة فى فلسطين الا الحية انهى آزرت تصريح بالقور . فالواجب على يهود أمريكا غير الصهيونيين :

- (١) تذكر ان الاسلام عامل اليهود خيرا آمن المسيحية
- (٢) التفكير فيما هو أجدى وأفع نحو المظلومين من أبناء جنسهم . ان تأسيس وطن قومي لليهود عمل يتطوى على الدم والتخريب .
- والآن وقد اتوى تصريح بالقور وشرو حتى ذهبت صفته الاصلية وصار مرادفا لحكم دينى خاص يجب أن لا يدشر بأية رسالة لدى يهود أمريكا غير الصهيونيين ويجب عليهم العمل على سحب هذا التصريح فلو نجحوا فى ذلك لصار العرب واليهود قادرين تحت الاشراف الانجليزى على رسم تحديد سياسى لفلسطين يتفق مع تأكيدات مكاهون والقيادة الفرنسية الانجليزية ويضمن تأسيس واستدامة وطن قومي لليهود . بيد ان فكرة تحويل فلسطين الى وطن قومي ليست بالفكرة الامريكية وتعارض معارضة عدائية لمبادئ يهود أمريكا غير الصهيونيين .

بين الصحف والمجذبات

تصنيف الأحياء الوضعي

CLASSIFICATION

أو تصنيف عالمي الحيوان والنبات

قرأت في مجلة المقطف، الغراء بعددها الصادر في شهر أبريل مقالا تحت عنوان «تصنيف الأحياء والفاظه العربية» - بحث على لغوي - وهي مناقشة بين الأمير مصطفى الشهابي والاساذ محمد شرف صاحب معجنا المعروف . والمقال من قلم الأمير الشهابي يتقد فيه بعض ما ذهب اليه الدكتور شرف من المصطلحات العربية وكان السبب في هذه المناقشة أن الأمير الشهابي يرى أن الدكتور شرف قد شذ في بعض ترجماته عما وضعه أو استعمله العلماء والمؤلفون من قبله مثل العلامة «جوست» في كتاب «مبادئ النبات» - وكتاب «نظام الحفلات في سلسلة ذوات الفقار» والعلامة النقيب يعقوب حروف في المقطف ونقي رياض صاحب كتاب «التاريخ الطبيعي» وكبار مؤلفي الترك في كتبهم، وغيرهم وهم كثير - إلى آخر ما جاء بمقال الأمير

ولقد حاول الأمير أن يعرف الأنواع فقال «يوجد بين الأحياء أفراد تتشابه في خلقها وتخليتها» كل التشابه كأفراد الضأن في الحيوان وكأفراد الحنطة في النبات . فجميع أفراد الضأن تكون نوع الضأن ، كما أن مجموع نبات الحنطة تكون نوع الحنطة ، إلى أن قال - «قلت إن الحنطة نوع ولكن جميع أفراد هذا النوع لا تكون واحدة في صفاتها . فقد يكون لعدد من أفرادها صفات انتقلت بالوراثة إلى الإنسان (١) لكنها كثيرا ما تبدل أو تزول مع الزمن فهذه الأفراد هي من صنف واحد

١ - لا أتري كيف تنقل صفات الحنطة ومن نبات بالوراثة إلى الإنسان بلعل في مجلة غورناسيه سوء التمييز والله يريد أن يقول أنه قد ظهر في بعض أفراد الحنطة صفات وراثية جعلها الإنسان ، على أن الفرق كبير بين التمييز والتمييز .

والصنف الخوراني من الحنطة والصنف الحوي من المشمش والصنف بالقرنية
 Variete - فكأنه يتمر أن هذا الشرح تعريفًا للصنف Variety كما شاء أن يسميه
 جبرياً على ترجمة المفهوم له الذي كتور صروف وعلى رباح

على أنني لم أعرف من سياق مقال الأمير الشهابي أن كان هو يقصد من هذا الشرح
 أن يكون تعريفاً للتوابع والصنف ؟ أم أنه يريد مجرد الشرح البسيط تقريباً للتوابع
 من الأذهان . أما إذا كان الثاني فقد أصاب وأما أن كان الأول فقد أخطأ

والسبب في هذا أن تعريف الأنواع والتوابع وهي ماعنا بالصنف متعارف
 إلى حد كبير . قال العلامة داروين في الفصل الثاني من كتاب أصل الأنواع ص ١٣٤
 مجلد أول من الطبعة العربية ما يلي .

« وما كنت لأسبق البحث في التعاريف الشئ التي وضعت لكلمة « الأنواع »
 إذ لم يتبع واحد منها الطبيعيين عامة . ومع ذلك فكل طبيعي لا يعرف الأنواع إذ يتكلم
 فيها ، إلا معرفة مبسطة مفصولة على أنها ليست بشئ سوى ذلك العنصر غير المعروف
 الخاص لتأثير فعل خاص من أفعال الخلق . وتعريف التغيرات Varieties لا يقل
 صعوبة عن تعريف الأنواع ، كما أن اشتراك سنة التسلسل يتضمن ذلك عامة ، ولو أنه غالباً
 ما يكون من الصعب التخلي عليه . وذلك يتناول بالطبع ما دعوه « بالهول »
 Monstrosities أي شواذ الخلق ، رغم أنها تصعد متدرجة في سلم الارتقاء ، حتى
 تستحيل إلى تنوعات وما الهول لدى التحقيق إلا انحرافاً عن النظام العضوي ليس
 للأنواع فائدة منه ، بل هو ضار بها على وجه عام . ومن المؤلفين من يستعمل كلمة
 « التغير » Variation استعمالاً اصطلاحياً يقصد به تغاير وصفه . فخاصة لحالات
 الحياة الطبيعية وأما ، وعلى هذا الاعتبار يقال أن التغيرات لا تورث . ولكن من ينكر
 أن قصر الحيوانات الحقيقية التي تعيش في مياه ، البطريق ، الملحمة عن متوسط طولها
 الطبيعي لا تورث في بقعة أعقاب على الأقل ، شأن النباتات القصيرة التي تنبت في
 قمم جبال الألب . وغزارة فراء الحيوانات التي تظن أقصى الشمال ؟ من هنا يتبين أن
 تلحق الصور الشاذة بالتوابع ،

لم تغفل هذه القطعة إلا لنظرها أن تعريف الجميل من التصور العلمي في
 طبقات الأشياء متغير بل يكاد يكون مستحيلاً . ذلك لأن نظام التدرج الطبيعي منقضي
 إلى هذه الاستحالة بلا ريب . ثم توخينا من إيرادها أن تظهر أن كل تصنيف للأحياء

لا يتناول اللغات التي تتكون منها طبقات الاحياء و بها تندرج بعض الاحياء الى بعض يكون ، فاقصاً .

فان بين الفرد - Individual - وبين النوع عدة تدرجا دقيقة ، وكذلك بين النوع والنوع عدة تدرجا أخرى هي في مجمل التصور العلمي في طبقات الاحياء أشبه بالحروف الأبجدية التي تتكون منها أية لغة من اللغات ، فان فقدان حرف منها يترتب عليه نقص في تركيب المفردات ينفضي الى صعوبة التعبير بها ، وعليه يتعين اذا فقد حرف منها ، اما أن تضع الكلمة ، ولما أن تعدل معاني مفرداتها بما يطابق ذلك النقص . ولكنه ولا شك يكون نقصاً على كل حال .

لا جرم ان الامير الشهابي قد قصر بحثه على المصطلحات التي يستعملها الكتاب في علم التاريخ الطبيعي وعلم الحيوان ، وله في ذلك أكبر العذر . فان الباحث في هذين العلمين ، قلما يفتقر بصور التدرجات الدقيقة التي تربط بين الأقسام الرئيسية التي يتناولها بحثه . غير انه بجانب هذين العلمين يقوم علم ثالث ، هو بمثابة الأساس لكل فروع العلم التي تتناول بحث الاحياء على اختلاف مناحيها ، ذلك هو علم الحياة Biology القائم في أساسه على تصور النشوء Evolution .

والمثال على ذلك نترعه من كتاب ، التاريخ الطبيعي للملكي ، عن آخر طبعة منه وقد ظهرت بأشراف العلامة ، وينشard ليدكر ، - R. Lydekker - عضو المجلس الملكي البريطاني ، فانه اتبع في التقسيم نفس الطريقة التي يتبعها كل الكائين في التاريخ الطبيعي ، فقد ذكر الأقسام الكبرى من غير أن يشير بشيء الى عملاتها التي هي لبس الحقيقة راجعة الى التصور العلمي النشوءي في طبقات الاحياء .

ولكن من ينكر مع هذا اننا في حاجة الى ترجمة المصطلحات النشوءية كحاجتنا الى ترجمة المصطلحات في علم الحيوان وعلم التاريخ الطبيعي ؟ لهذا أرى أن لا نجعل البحث على بضعة مصطلحات ، جاءت حتى في بحث الامير الشهابي ناقصة متبورة ، فانه مثلاً قد أمهل كل الاصطلاحات التي سبقها لفظة - sub - في الفرنسية واللفظة - sub - في الانجليزية . مع انك اذا فتحت ص ٣ جلد أول من كتاب ، التاريخ الطبيعي للملكي ، الذي سبقت الإشارة اليه ، وقد اتبع في النسق الابتداء بالحيوانات العليا نجد ما يلى في الكلام عن الفقاريات أو ذوات العنق - Vertebrata : -

We accordingly have a scheme of classification like the following : —

Sub-kingdom : Vertebrata, or vertebrates ..

Class : Mammalia or Mammals, etc. etc.

فالأمير قد أحمل الإشارة في بحثه إلى اصطلاح: Sub-kingdom: مع انه يشير إلى الفقاريات وهي أهم أقسام عالم الحيوان من الوجهتين العملية والعملية .

على هذا يتعين علينا ، اذا أردنا أن نقول بنتاج كآمل من جهدنا الحديث أن نرجع إلى جميع المصطلحات التي تستعمل في تصنيف الاحياء ، لا في على الحيوان والتاريخ الطبيعي وحدهما ، بل في التصور التشوي الحديث أيضاً ، ليكون لنا من ذلك مجموعة من المصطلحات يستشهد بها المشتغلون بعلوم الحياة .

لهذا يجب أن نقدر على ترجمات اصطلاحية تجري عليها لمجموع الكلمات الآتية :

- (1) Individual (2) Cross (3) Cross breeds (4) Breed & Breeds (5) Form & Forms (6) Variation (7) Monostrosity (8) Modified forms. (9) Race (10) Sub-variety (11) Variety (12) Intermediate link & links. (13) Geographical races & forms (14) Sub-species & races (15) Species (16) Incipient species (17) Doubtful species (18) Closely allied species (19) Sub-genus (20) Genus (21) Tribe (22) Group (23) Sub-family (24) Family (25) Sub-order. (26) Order. (27) Sub-class (28) Class (29) Sub-phylum (30) Phylum. (31) Sub-kingdom (32) Kingdom

Individual

فرد

(1) Cross

تعبير

(2) Cross-breed

نسل عبري

(3) Breed & Breeds

نسل وأنسال

(4) Form

صورة

(5) Variation

تباين

(6) Monostrosities

هول أو موهوخ أو شواذ خلقية

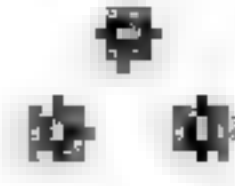
(7) Modified forms

صور مذبذبة

8 Kind	صنف
2 Variety	تنوع
1 Sub-variety	تصنيف
2 Intermediate links	حلقات وسطى
3 Geographical races	سلالات جغرافية
3 Species	نوع
1 Sub-species	نوع د
2 Incipient species	أنواع مبدئية - أي أخذت في سبيل التكون
3 Doubtful species	أنواع مبهمة
4 Closely allied species	أنواع متلاحة أو متدانية اللحنة
5 Race & races	سلالة و سلالات
4 Genus	جنس
1 Sub-genus	جنس د
2 Tribe	قبيل أو سبط
3 Group	زمرة (جمعها زمر)
5 Family	أسرة
1 Sub-family	أسرة د
6 Order	رتبة
1 Sub-order	رتبة د
7 Class	صف
1 Sub-class	صف د
8 Phy-lum	جذع
1 Sub-phylum	جذع د
9 Kingdom	مملكة
1 Sub-kingdom	مملكة د

أما فعل نَقَلَ وما يشتق منه فنترجمه بالآتي :

- | | |
|--------------------|-------------|
| 1 Hybrid & Hybrids | نقل - أنقال |
| 2 Hybridism | نقولة |
| 3 Hybridisation | تنقيل |



أما كلمة Mongrel فنترجمها خليس أو خليس .

والحقيقة اني لم أضع هذه المصطلحات اعتباطاً ، بل كان ذلك نتيجة جهود متواصلتين عديدة في ترجمة كتاب ، أصل الانواع ، الى العربية . واني لعلي استعذاد لأن أناقش فيها على أنها ترجمات قابلة للتغيير والتبديل ، مع ملاحظة اني أرجعت كل اصطلاح منها الى اشتقاقه الاصلى جهد المستطاع ، لا كون بذلك أقرب الى الصواب على قدر الامكان



لهذا القسم ، عمود فقاري ويقوم عليه ، وهذا العمود الفقاري هو كلمة (Species) نوع .

فهي الجدول الذي ذكرناه تسع طبقات تدرج من حيث الثبات في الصورة والصفات والوراثة مرتبة كما يأتي :

(١) الفرد (٢) النوع (٣) النوع (٤) الجنس (٥) الأسرة (٦) الرتبة (٧) الصف (٨) الجذع (٩) المملكة .

وأنت كلما صعدت الى الفرد صككك الثبات ، وكلما انحدرت الى المملكة قل . والمحور الذي تدور عليه هذه الرحى الحيوية هو النوع ، فهو الذي يغير ما قبله من الصور ليسلم بها الى ما بعده ، فتكون أحياء أكثر ثباتاً على الزمان وأقل تغايراً أو بالأحرى أقل قبولاً للتغاير . فالصفات الجنسية أكثر ثباتاً من الصفات النوعية ، على الرغم من اختلاف الباحثين على تحديد ما هي الصفات الجنسية . والصفات النوعية أقل ثباتاً من الصفات النوعية . وهكذا عكساً وطرداً على مدى الطبقات القسم ، صعوداً الى الأزمان الاولى وهبوطاً الى الأزمان الحديثة .

لهذا كان النوع محور بحث العلماء . ولا جرم أن يكون عثابة و العمود الفقاري ،

في مثل هذه الأبحاث العميقة . ولهذا كان تحديد النوع ، منته نظر علماء البيولوجيا منذ أن كان لهذا العلم وجود في أواسط القرن الماضي .

أكبر العلماء على بحث النوع ، فصرفوا همهم إلى معرفة السر ، في نشوء الأنواع بعد أن أظهرت أبحاث كثيرة كانت تدور حول البيولوجيا ، أن نظرية الخلق المستقل قاسدة . ولقد سمى العلماء هذا البحث « سر الاسرار » ، وما زال كذلك حتى كشف داروين عن ذلك السر بتصور حديث استمد من نظرية قدسية : استقر بهم الرأي على أن الأنواع نشأ ولا تخلق ، رجعوا إلى البحث في تحديد النوع ، وما هو في الطبيعة ؟ غير أنهم عجزوا عن تعريف « النوع » لأن سنة التسلسل تجعل تعريف الحلقات التي تتكون منها سلسلة الأحياء صعبة متعذرة . ولقد ظل العلماء غير موفقين حتى بدأ العلمان « جارتشر » الانجليزي و « كبلروتر » الألماني أبحاثهما في « العقولة » Hybridism . فوقع العلماء من أبحاثهما على أساس يمكن في المستقبل أن يكون أساساً لتحديد النوع . فقد استبان لهم أن كل الصور التي تتلاقح وتنتج بالتقاطع تكون توريثات وكل ما لا ينتج بالتقاطع من الصور تكون أنواعا . هذا على الرغم من حالات أنتجت بعض مشكلات تجعل الركون المطلق لهذه القاعدة غير مأمون النتائج تماما . ولكنهم على أية حال خطوة كبيرة جديدة بمداومة البحث ، لأنها تقضي إلى حقائق جديدة يمكن بها تحديد النوع تحديداً تاماً . فإذا بلغ العلماء ذلك الحد استطاعوا أن يقولوا إن تقسيم الأحياء قد أصبح قائماً على قاعدة طبيعية ثابتة ، لا على الاجتهاد والحدس . والدليل على ذلك وجود ما يسمى العلماء بالأنواع المبهمة ، أي غير محقة الهوية تماماً . قال داروين - ف ٣ مجلد ١ ص ١٣٩ من الطبيعة العربية :

« إن الصور التي تتكون حائرة لكثير من صفات الأنواع ، على أنها تشابه صوراً أخرى مشابهة ذلية ، أو تربطها حلقات وسط بينها ، لم يبق حالات عديدة ذات شأن كبير . ولو أن الطبيعيين يأبون اعتبارها في عداد الأنواع المتأخرة بصفات المبهمة . ثم قال :

« ولدينا من الدلائل ما يجعلنا على الاعتقاد ، اعتقاداً على ما وصل إليه مبلغ علمنا بأن كثيراً من تلك الصور المبهمة المتقاربة في النسب الطبيعي ، قد احتفظت بصفاتهما زماناً طويلاً كما احتفظت الأنواع الحقيقية بصفاتهما . ولا جرم أن الباحث الطبيعي ، متى كان في وسعه أن يوضح بين صورتين من طريق العثور على ما يربطهما من الحلقات

يعتبر احدهما تنوعاً من الاخرى ، واضعاً في رتبة النوعية أكثرهما انتشاراً ، وأحياناً
أولها اكتشافاً ، والاخرى في رتبة التوابع ، ولقد تعرضنا في بعض الحالات
صعاب شتى ، لا تعدد هنا شيئاً منها ، إذا أردنا أن نقص في صورة ما ، فتعتبرها تنوعاً
من صورة أخرى ، حتى ولو كانتا مرتبطتين بحلقات وسطى بينهما ارتباطاً كلياً . كذلك
لا يزال تلك الصعاب على الأنواع من صور الانتقال التي تتخلل سلالاتها ، كما نعتقد
جميعاً . وكثيراً ما نعتبر صورة من الصور في غالب الأحيان تنوعاً لاحقاً بصورة
أخرى ، لا لأن الحلقات التي تثبت الصلة والرابطة بينهما قد ثبت وجودها ، بل لأن
المائلة بين صورتيهما تسوق الباحث الى الظن بأنه إما ان تكون تلك الحلقات باقية
حتى الآن فيمكن ولم تعرف ، وإما أنها كانت موجودة في غابر الأزمان ثم انقرضت .
وهنا يفتح الباحثون للشك والرجم بالغيب ، مجالاً واسعاً ، ومن ثم كان رأي الطبيعيين
الذين بحث أحكامهم واثبتت نكاحيهم وتوابع خيريهم ، مرشديننا الأمين
الذي انتهى به في الحكم على صور التعديلات واعتبارها أنواعاً أم تنوعات . كما أنه من
الواجب علينا في حالات عديدة أن لا نفصل في ذلك غير مستعدين على ما أجمع عليه
الطبيعيون . وإله لمن الممكن أن تأتي بكثير من التنوعات المعروفة ذات الشأن ، لم
يلحقها بعض أول الثقة بالأنواع ، ثم قال

« ولا مشاحة في أن تلك التنوعات المبهمة العلاقات والصفات ، قد تتكاثر نكاحاً
كثيراً يقين لنا بما حققناه من المقارنة بين ما كتبه كثير من علماء النبات من نباتات
بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة ، إذ ترى أن عدداً عظيماً من الصور النباتية
قد اعتبرها بعضهم أنواعاً ، واعتبرها البعض الآخر مجرد تنوعات ، ولقد تعدد لي مستر
« واطسون » ١٨٢٢ نباتاً من نباتات بريطانيا العظمى تعتبر تنوعات على وجه عام ،
وضعها علماء النباتات في رتبة الأنواع ، ولقد أغفل فيما جمعه ذكر كثير من النباتات
الراقية ذات الأشكال الشتى . ولقد ذكر مستر « بانغتون » تحت عنوان الاجناس
٢٥١ صورة بما فيها الاجناس المتعددة الأشكال . وذكر لي مستر « بنام » ١١٢ صورة
فقط . فالفرق بين اعتباريهما ١٣٩ صورة مبهمة ، على أن تلك الصور المبهمة التي تنشأ
بين الحيوانات الآفاقية غير المختصرة في المقام على بقعة واحدة ، والتي تتصل باللات
بعضها ببعض ، هي في شرم بعض علماء الحيوان أنواع ، وعند آخرين تنوعات عامة
شائعة في بقاع مختلفة من الأرض ، وقل أن يوجد منها ما هو قاصر على موطن
واحد » — الخ

هذه أمثال من الأبحاث النشوية تضطرنا اضطراراً أن نجعل لها الاعتبار الأول في تقرير المصطلحات العربية الخاصة بها ، إذا أردنا أن نجعل بحثنا في هذه الناحية كامل الأداة .

نعود بعد ذلك إلى كلمة - Hybrid - فنجد أن الأمير الشهابي يقول - « أما الهيريد فيسمى بغلاً مع التوسع كما تطلق مصدر البغل على طريقة الضراب التي ينتج بها البغل ويمكن مع التوسع أيضاً تسميته بغلاً ، مع العلم بأن الغل في اللغة ليس سوى ابن الزينة » - والظاهر أن الحقيقة على العكس من ذلك . إذ المتبادر إلى الذهن أن غلة بغل تصحيف عامي عن نغل . والدليل على ذلك أن لكلمة نغل اشتقاق لغوي أما بغل فلا اشتقاق لها . جاء في الفيروز آبادي ص ٣٨٨٨ مجلد ثاني مانصه -

« نغل الأديم كفرح فهو نغل فسد في الدياغ وأنغله والاسم النغلة بالضم والجرح فسد ونينه ساءت ، وقلبه على ضغن ، وبينهم أفسد ونم وجوزة نغلة متغيرة ونخلة ونغل المولود ككرم نفولة فسد » - فهذا يقيد أن النغولة في النسل الفساد وهو قريب من معنى كلمة هيردزم - Hybridism - في الإنجليزية وغيرها من اللغات التي تقار بها إذ أن معناها عقم التوليدات الناتجة عن نوعين بعيدين في النسب الطبيعي . وصرفنا على الحيوانات التي تكون لها هذه الصفة غلبة ، الإنغال ، ترجمة لكلمة « هيرد » Hybrid والمصدر هيردزم - Hybridism - وهي النغولة . ومعنى هذه المادة في اللغة الإنجليزية ما أورده أصحاب المعاجم الكبرى - الخروج عن الجادة والافراط وتجاوز الحدود ويطلقها الطبيعيون على الانسال التي تنتج عن تزاوج نوعين من الأنواع يتباعد نسبهما الطبيعية ، سواء أكان ذلك في الحيوان أم من النبات وهي تفترق عن الانسال الشاذة أي شواذ الخلق التي تنتجها التزاوجات أو الأنواع المختلفة المنسوبة إلى جنس بعينه

أما « الإخلاص » - Mongrels - فهي عندي الأفراد الناتجة عن تزاوج أفراد سلالتين - Tow races - تابعتين لنوع أو تنوع بعينه وفي اعتقادي أنه لا يستعصى علينا أن نجد مصطلحات عربية صحيحة الاشتقاق لترجمة كل المصطلحات الطبية المتداولة في العلوم الحديثة ، ما عدا أسماء الأعلام فالواجب تعريبها .

اسماعيل مظهر

الكرد المزهرة

١ - المجلة الجديدة . عدد يناير سنة ١٩٣٠ ص ٣٢٤

٢ - قصة مصرية لعمود طاهر لاشين بعنوان
(الكلمة المزهرة)



لم يبق شك في قيمة القصة من الأدب الحديث حتى قال بعضهم إنها ستكون زعيمة الأدب في المستقبل ونحن في اللغة العربية نعلم قصرها في هذا الباب . وعدم عناية العرب بالقصة . لذلك نهتم لكل محاولة يقوم بها المحدثون من الكتاب والقاصين المصريين لتصوير الحياة المصرية والنقص عنها قصاً صادقاً قياً . ونريد في هذه الكلمة أن نعرض لقصة حديثة تری عنوانها في مقدمة هذه الصحيفة . ونحن نختارها لآلئ نراها أو في القصص الذي ظهر حديثاً من الوجهة الفنية وأصدقها أيضاً :

لا نريد أن نلخص في هذا القدر قصة (الكلمة المزهرة) . فنحن نحيل القارئ الكريم عليها نفسها يستمتع بها ويقرأها كاملة . وإنما نريد أن تبين عن مواضع الإجادة ومواضع النفس على الاختصاص . لأن التنبه إلى النفس حافز إلى الكمال . فأول ما نرى من مواضع الإجادة (الصنق) في حوادث القصة حتى لتخالها واقعية بل ويقع مثلها كثيراً . وهذا الصنق وهذه البساطة من أسباب الإجادة في القصة لأنها تجعلنا نستفيد منها ونحس بأننا نطلع قصة حية ونشرح دائماً في المجتمع نطلب رواءه . وهذا الداء الذي صوروه لنا لاشين في قصته هذه هو جهل المرأة . وهذا هو موضوع القصة . وإن كان يمكننا أن نستفيد درساً آخر هو خلق بعض الأزواج في مصر . مثل كامل القدي أحمد أبطال هذه القصة . ولكن الواقع أن السبب حتى لهذا الخلق هو هذا الجهل الذي تعيش فيه المرأة في مصر . وقد نجح لاشين في أن يجعلنا نحس الخطر في جهل المرأة وما يقبضه من حجاب وسخف في التفكير .

القصة إذن ناجحة من ناحية السبك والبساطة في الحوادث . ووضوح الفكرة أو (العبرة) ولكن إلى جانب هذا النجاح ومواضع الإجادة هذه نرى مواضع ضعف في الأسلوب وفي تسمية القصة . أما الأسلوب فقد حاول المؤلف أن يجعلنا على الإعجاب بيلانته وسمو عبارته . وجعل أسلوبه قتيماً متعافاً وهذا الأسلوب إذا تسامحنا معه في الكتاب أو المقالة فلا تسامح معه في القصة . لأن المهم فيها (الحوادث) التي نريد أن نؤذي لنا في أبسط لفظ وأوضحه وأخصره بحيث لا يشغلنا عن تتبع

الحوادث، ويربنا أن المؤلف له غاية غير القصة هي رسالة في الأسلوب الانشائي العالي .. (١)

وأيضاً كان الأولى للمؤلف أن يجعل جميع الأحاديث بين أشخاص المصريين (العاديين) باللغة التي يتطفقون بها حقاً. وهل من المؤلف أن يتحدث من فمها المنازل مثل الشيخ عبد المولى — أحد أشخاص القصة — يتحدث ربة المنزل (الجاهلة) بمثل قوله (معاذ الله، معاذ الله، قلنا تعلم علم اليقين أنك شريفة طاهرة .. الخ) ولا تدرى لماذا جعل حديث زهرة طليعاً (أي باللغة العامية) وجعل حديث الشيخ عبد المولى وهو ليس عرضاً في القصة — (بالعوى ..) — وأما تسمية القصة، فقد جعلها المؤلف (الكهنة المزعومة) وقد وصف لنا بطله هذه الكهنة بما يوافق ذلك، ولكن (الصفة) التي بنى عليها حوادث قصته، والتي تؤدي بنا إلى الغاية منها (العبرة) ليست جيدة على صفة (الزهر) هذه، بل سببها جهل الست زهرة. وليس لزهرها دخل لا في حوادث القصة ولا في نتيجة البائية .. ١١ فين القصة إذن وبين أسعيا فرق كبير، لأن الأستاذ يقص لنا عن امرأة (جاهلة) عجيبة، لا تباشر مصالحها الخاصة ولا

(١) لا بأس في أن أضل هنا رأياً لكتاب فرنسا الأتيق أناطول فرانس عن الأسلوب العالي لعله ينفع أساتذتنا المقترمين به ... (نقلًا عن ترجمة الأمير شكيب أرسلان لكتاب أناطول فرانس في مبادئه، بعنوان: توخي العالي من الانشاء مرضى، ص ١٤٥ — ١٤٦). أحذر من البقعة ومن النوع الكورنيلي (نسبة إلى الشاعر Corneille وكان يذهب إلى التعالي في البيان)، واثرك هذه الجزالة للوعاظ على المنابر، فإنه ليس شيء أسهل من الرعد .. القصص والارتجاج والادهاش، وأن أقبح المخشين التعارون الزعاقون، وأي شيء من نفيق خرج من الطبيعة ولا بد له من الرجوع إلى الحالة الطبيعية بحكم الضرورة، لأنك إذا كنت محلقاً فوق السحب فلا تقدر أن تبقى محلقاً بدون نهاية، بل عليك أن تنزل بقارئك أخيراً إلى الأرض

إن رواية مشخصة بصفق فيها عند كل شطر تترك السامع طول الليل مشدوداً على كرسيه، لأنه متى بدى بالهذيان فلا يعرف أين ينتهي فهو ينتهي إما في (بند) Pinde جبل في بلاد اليونان خاص بألهة الشعر، أو في المستشفى، وهكذا الشأن في القصص، فإن الانشاء المطيب يكون غالباً من دلائل المحال: في أوائل نشأت كنت أنضج عرقاً حتى أبلغ الأسلوب العالي الفخم، وأما الآن فاني أفر منه

تعرف كيف يقضى زوجها وقته ، إلى غير ذلك مما سيبه الجمل وحده ، وليس للزهر مدخل فيه ، وانما هو صفة ثانوية نود لوصوره لنا الأستاذ في قصة أخرى

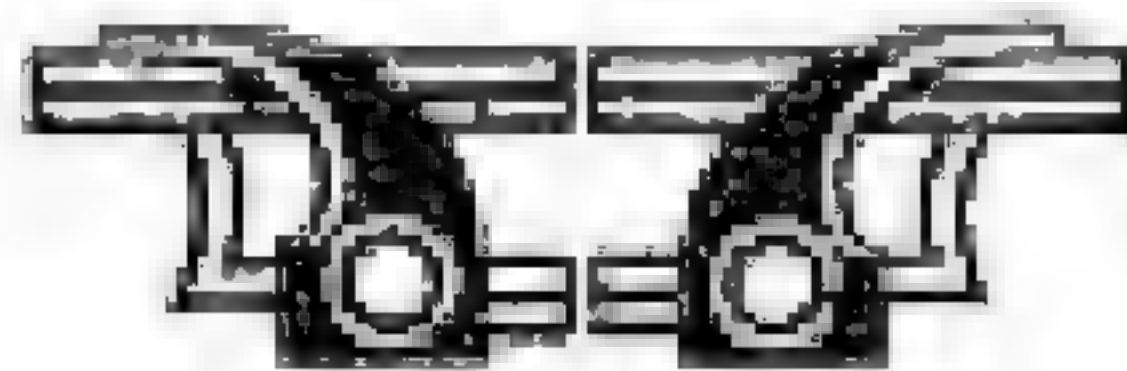


هذه ملاحظات عن قصة الأستاذ لاشين ، ذكرت فيها ما لها وما عليها ، وانى لاختم هذه الكلمة بأنى أعتبر هذه القصة من أجمل ما قرأت من القصص المصرية الحديث — وأنا مهتم به دائب البحث عنه — وأود فى ختام هذه الكلمة أن أرى الكثير من الكتب والقصص التى تعبر عن شعورنا (المصرى) الخاص ، وتصور حياتنا المصرية الخالصة ، فأتا نريد أدبا مصرية . وعلى هذا الأساس نرحب بقصص تيمور وكامل كيلانى وأبوشادى ولاشين لانهم يضعون الأساس للأدب المصرى المنشود . وعلى هذا الأساس نقدر قصة لاشين هذه كما نقدرها تليوباثة لشوقي فى العصور الماضية وكما نقدر غيرها قريبا ان شاء الله معبطين بهذه البدايات الحسنة . ونشكر للعصور عنايتها بهذا (الاتجاه) وتقديره

عמוד على الشرقاوى

القاهرة فى ٦ — ١ ١٩٣٠

ARCHIVE
(Digitized by Google)



شعر التجديد

للاستاذ حسن كامل الصيرفي

استرح يا قلب

استرح يا قلب، واهداً ربما
فترها بعد غدر قد صفت
ونراها في انفسام بعدما
ونراها تدفع اليأس الى
ونراها ، ونراها ... ليت ما
عادت الأيام تستوحى الضمير
مثلاً يصفو مع الليل الغدير
عبت حتى تراءت كالقبور
حفرة ما إن له منها نشور
تمنى تنجلي عنه السور

فاسترح يا قلب واهداً ربما

أوت ! الآن لنا هدى السبا

(آه يارب !) وهدى كل ما
ينطق القلب به ، لا من في
لأنها كالروح سر خامض
أورثتني إلى الأتم
(آه يارب !) وكم أسلو بها
فهي من ماضي غرامي معني
لفظة الغارق في آلامه
يرتجى الشاطئ بين الظلم
قلت الأحرف فيها إنما
كثرت فيها معاني الألم

آه يارب ! أمانى اختفت
كاختفاء الأمل في الماضي البعيد !
هل لها من عودة يارب أم
إنها كالأمل ماض لا يعود ؟

لم يزل سر حياتي كامناً
في خفايا الغيب حتى يعلا
والذي قدره الله لنا
مستكناً بين أطباق السبا

فاسترح يا قلب واهداً ربما .

أوت الآن لنا هدى السبا

امتناعات

الخير والشر

أيها البائس لا تعجب فما
وطريق الخير محل لا ترى
وطريق الشر سهل واضح
يبد أن الشر لو تنظرو
غرك النور بهاتيك الصوى ١
في طريق الشر الا النيرات
فيه من زهر، ولا فيه نبات
وطريق الخير يحوى العقبات
ساحة معلومة بالويلات
فتقدمت لداجي الظلمات ١١

...

أيها الخير، وكم أتعبت من
مهد السير بواديك فما
قاهد يلقى عظيم النكبات ٢١
أقصر العمر بهاتيك الحياة ١٠

ARCHIVE

http://Archive.org/Sakhril.com

أترى يصلح من عالما
لا أرى إلا بقاء الشر كي
أن يبد الشر منه، أم يضرب
يعرف العالم ما يعنى به (خير)

لو كان ...

أترى لو كان من أمر الوجود
لا سقام، لا موات، لا لحدود
أترى هل كان فينا من يهود
دون ما يهزغ من ذاك الوردود
أنه باق على مر الزمن ١
لا ترى يا كل ذباك البدن
بعزير الروح يشنق الكفن ٢١
أترى هل كان فينا من يمن ٢٢

كلنا طراً يمن ...

(١) الصوى : علامة تكون في الطريق هدى ودليلا واحدها صوة .

عهد الصفاء

أترى يأتى علينا زمن
فى الديانات، وفى الأوطان، فى
هل اذا عشنا كهذا ترتوى
أم ترى نبحث عن شيء به
تناسى فيه هاتيك الفروق
هذه العادات، فى كل طريق ؟
أنفسنا الى السلم تشوق ؟
نبعث الفتنة للخلف تسوق ؟

ديانات اخرى

أظن إذا ما أقبل الناس كلهم
سيبحث كل عن جديد من الهوى
على ترك هاتيك الديانات فى عصر
وتصبح فى الدنيا المذاهب كالخراب

النقد

وينقصنا فى النقد شيان : ناقد
علم بأداب المقال فليقلبه
وقد يرى يصلح الغيب دون ما
ولكننا والحزن يقضى قلوبنا
يرون طريق النقد تشويه منظر
وما النقد إلا غاية من ورائها
فإن تم هذان استرحنا من الذى
ولكن متى ؟ .. والناقدون نفوسهم
خلا من قيود الحقد، أو غرض الهدم
مليح، ومعناه الى فنه يرمى
يعرض بالانساب فى معرض الذم
بليبا يتقاد تدلوا الى الجرم
ونهم عروض كالكلاب بلا كم
صلاح ولا يرجى الصلاح من الظلم
نراه قبل يسمون بالنقد فى يوم ؟
خراب .. أرى تعميره غاية الوهم

الخيال

ويلومنى بعض الرفاق وقد
ما تستلذ من الخيال وما
فأترد لا تسبح على أمل
فأجبتهم لولا الخيال على
كل يؤمل فى الحياة ولو
لولا النقوش لما سمحت صور
ملكتهم مادية العيش
فيه سوى الأحلام والطيش ؟
فى بحر الهدار بالنش
هذه الحياة أضقت بالعيش
لا هذه الآمال لم يش
وكذا الحياة تعز بالنش

فهرست

مصحفة

٣٣٧	التطور وأثره في مستقبل الفكر الانساني	اسماعيل مظهر
٣٦٠	الرجعية الفكرية - وتنظيم الدعوى لها في مصر
٣٦٦	نزعة التجديد وتحليلها	عصام الدين حفيظ ناصف
٣٧٢	على السفود
٣٨٨	شيطان يتنور - المحادثة الثانية عشرة	شوقي بك
٣٩٤	تقرير عن النهضة الفنية
٣٩٩	حرية الفكر وأثرها في تكوين الحضارة	اسماعيل مظهر
٤٠٥	الكيمياء الحديثة - المركبات النيتروجينية	حسن احمد السلطان
٤١١	أكل السمك	اسماعيل مظهر
٤١٦	العلاج بالوسائل الطبيعية - مترجمة
٤١٩	انبحاث زراعية علمية - عملية الانتشار	عبد المجيد سيد احمد
٤٢٥	كروكي - ٣٤ ساعة من حياة امرأة	اديب
٤٢٨	دولة سياسية يهودية في فلسطين - مترجمة
٤٣٣	النقد والتأليف
٤٣٣	تقسيم الاحياء الوضعي - المقتطف	اسماعيل مظهر
٤٤٢	الكهنة المزهوة - المجلة الجديدة	عمود علي الشرقاوي
٤٤٥	شعر التجديد	حسن كامل الصيرفي